إلى القارئ

طالما عبرنا فى هذه المجلة عن ايماننا بوحدة أقطار المغرب العربى الكبير ، وعزمنا على المساهمة فى ارساء الأسس التى تقام عليها هذه الوحدة كى يكون بناؤها متينا شامخا ، كما حللنا فى مناسبات كثيرة المقومات التى تجمع شعوبنا وتفرض « تاريخية » هذا المصير المشترك الذى حاول الاستعمار كم من مرة وبشتى الوسائل كما تظافرت عوامل الانحطاط والعصبية المقيتة ، على طمس معالمه والتشكيك فى حقيقته ٠

ولعل خير السبل الممهدة الى هذا التقارب المنشود والحوار النفسانى والروحى المرتقب ، هو توحيد مناهج التعليم والتربية وتنسيق برامجها بحيث تتلقى الأجيال الصاعدة نفس المعلومات بنفس الروح والاتجاه فتؤمن بنفس القيم وتسعى الى بناء المستقبل المشترك كأعضاء الأسرة الواحدة تربطهم وشائج الأمة الواحدة ٠

لذا يطيب لنا ان نحيى « ندوة وزراء التربية والتعليم للمغرب العربى الموحد » التى انعقدت بتونس من 4 الى 7 فيفرى المنصرم لأنها استجابت الى رغبة كمينة فى شعوبنا الاربعة ، متبلورة فى شعور نخبتنا المغربية ، ولأنها الطريق الموصل الى بعض ما نطمح اليه وندعو له من وجوب تصميم العمل الايجابى من أجل إرساء الوحدة المغربية التى لن تكون الا على أساس وحدة الشعور وتجانس القيم الاخلاقية وانسجام المطامح الاجتماعية والاقتصادية ٠

لا شك ــ كما ذكرنا بذلك مرات عديدة ــ ان للعمل الثقافى فائدة عاجلة ، فالشعر والقصة والمقالة وملتقيات رجال الادب والفكر على الصعيد المغربى٠٠٠ تؤلف ما بين القلوب وتعزز وشائج القربى والأخوة وتمهد الى نظرة جمالية وذوقية للكون واحدة ، الا أن الجيل الحاضر لا يزال يحمل آثار العهود الغابرة ولا يزال يعانى آثار الاستعمار الثقافى ولعل مطمحه الاخير حينئذ هو أن يمهد الى المستقبل بتأثيره على الحاضر وأن يجاهد فى سبيل الغد المنتظر بما يراه كفيلا بضمان العزة والمناعة للوطن الكبير ٠

وما دامت كلمتنا هذه تحت شعار التقارب والتآخى والوحدة فاننا نغتنم هذه الفرصة للترحيب باخواننا الأدباء الذين جاؤوا من مختلف البلدان العربية ليشاركوا تونس فى اقامة مهرجان الشابى ، ونحيى فيهم الاخلاص للقيم الأدبية المشتركة والحماس للنهوض بأدبنا العربى الذى نريده عزيزا بين الآداب العالمية والذى نعتز بأن أبا القاسم الشابى أحد أعلامه ٠

الفكر

الثقافة العربية في افريقيا

بقلم : الدكتور عبد المجيد رزق الله

نحدثنا في العدد السابق في عجالة عن الاسلام في افريقيا الغربية وحاولنا ابراز اهميته في ماضي هاته الجهة من القارة السمراء ، وكذلك في حاضرها ، واهم من ذلك في مستقبلها • واستشهدنا برای احد الباحثين الذي اكد « ان المنطقة الممتدة بين ساحل المحيط الاطلسي والسودان بافريقيا والتي كانت مجهولة من طرف القدماء لم تدخل التاريخ الا بفضل العرب » وختمنا بحثنا معرجين على اهمية اللغة العربية في نهضة افريقيا الغربية بعد حصولها على الاستقلال ، واتساع نطاق تعليمها بالمدارس وخاصة بالسنغال •

ونعود اليوم الى موضوع انتشار اللغة العربية والثقافة العربية باعتبارهما عنصرين هامين من عناصر نهضة افريقيا وخاصة ان القارة السمراء التي تكثر فيها اللهجات البدائية غير المكتوبة ما زالت تستعمل اللغات الاجنبية (منها الفرنسية والانقليزية بالخصوص) كأداة عمل في حياتها الرسمية والعامة •

* * *

ان الثقافة العربية في افريقيا غير العربية منتشرة في نفس المناطق التي ينتشر فيها الدين الاسلامي • الا ان انتشارها لقي صعوبات اكبر من انتشار الاسلام • من ذلك الاستعمار الذي سيطر على شؤون البلدان الافريقية ولم يساعد على انتشار التعليم ولا تطوير الموجود من أساليبه ، كما ان الاوضاع المحلية السابقة للاستعمار كانت من التخلف بحيث لم تصمد امام امتناع المستعمرين عن نشر الثقافة بين ابناء هذه البلاد ، بل احيانا قد صدهم عنها صدا عنيفا • ولو ان الاستعمار قد اسس مدارس ، لغة التعلم فيها هي لغة الدولة المستعمرة فان هذا التعليم لم يشمل الا نسبة ضئيلة من ابناء البلاد • هذا ولم يحدث اي امتزاج او تداخل بين الثقافة الاوروبية وبين ثقافة البلاد ، مما جعلها لا تتطور ولا تتقدم •

لذا فقد اقتصر التعليم غير الاوروبي في افريقيا الغربية والوسطى خاصة على المدارس القرآنية المعروفة عندنا باسم « الكتاتيب » والتي يتولى التعليم فيها مشائخ الطرق « المرابطون » المتعلمون تعليما تقليديا محدودا يكاد يقتصر على حفظ القرآن وبعض الاحاديث والمدائح والاذكار وقليل من الفقه والنحو والصرف •

وطريقة « المرابط » فى التعلم هى نفس طريقة « الكتاتيب » المعـروفة ٠ وهى تعتمد على الحفظ عن ظهر قلب ليصبح التلميذ قـادرا على اقـامة الصلاة واداء الفرائض الدينية ٠ وهى الى جانب ذلك تمكن من القراءة الاولية باللغة العـربية ٠

فالدين الاسلامى واللغة العربية حينئذ متلازمان لا ينتشر الدين الا بهـا اذ هى لغة مكتوبة ، وذات ثقافية عريقة بينما اللغات المحلية ليست الا لهجات غير مكتوبة وليس لها ادب قوى مسجل ولا مروى رواية صحيحة ٠

على انه توجد الى جانب مدارس « المرابطين » هذه مـدارس اوليـة اخرى يتولى فيها التعليم معلمون مستواهم اعلى بقليل من مستوى المرابطين وصبغتهم الدينية اقل كثيرا منهم ٠ وهذه المدارس منتشرة فى المستعمرات البريطانية السابقة اكثر من المستعمرات الفرنسية ٠

ففى نيجيريا الشمالية كان عدد « الكتاتيب » 25٠000 كتاب فى سنة 1960٠ وهذا العدد بلغ اليوم 30٠000 تضم 430٠000 تلميذ ٠ ويوجد الى جانب ذلك 25 مدرسة عصرية (Islamic scool) يزاول التعليم فيها 6٠400 تلميذ و 45 قسما بالمدارس الثانوية يخصص برامجها ست ساعات فى الاسبـوع للغـة العـربية ٠

وفى السينغال كان يوجد فى سنة 1960 ، 71٠000 طفل من بينهم 1٠600 بنت « بالكتاتيب » وبعد الاستقلال وقع تشجيع العربية باعتبارها جزءا من التراث الثقافى القومى ٠ فاحدث 125 قسما ابتدائيا لتعليم العربية ٠

وتضم هاته الاقسام 4٠000 تلميـذ ٠ وهناك ايضا 657 تلميـذا بالمعـاهد الثانوية يواصلون تعلم العربية ٠ كما أسس معهد للدراسات الاسلامية باللغة العربية يؤهل الطلبة السينغاليين للالتحـاق بمعهـد بـاريس للدراسـات الاسلامية ٠ هذا الى جانب البعثات الطالبية الموجودة فى العـواصم العـربية كالخرطوم والقاهرة وفاس وتونس ٠

وقد وجدت العربية بعد الاستقلال نفس التشجيع فى كل من موريطانيـا ومالى وغينيا باعتبارها جزءا من التراث الثقافى لهذه البلدان ٠

* * *

ومن نتائج الطرق التقليدية فى تعليم العربية ان الانتاج الفكرى المحلى بقى ضئيلا محدود القيمة تعوزه الاصالة ٠ ومن اشهر المؤلفين « عثمان دن فوديو » واخوه « عبد الله » وابنه « محمد بلو » ولهم مؤلفات عديدة من اشهرها كتاب « سراج الاخوان فى اهم ما يحتاج اليه فى هذا الزمان » .كذلك نخص بالذكر الحاج « عمر » وله مؤلفات كثيرة اهمها شرح على « رمـاح الحـزب الـرحيم »

للتجانى وهو فى واجبات اتباع الطريقة التجانية و « سيوف السعيد » و « سفينة السعادة » وله تفسير على القصائد العشرينيات للفزارى ·

أما اثر اللغة العربية فى اللغات المحلية فانه يتمثل فى دخول كثير من الالفاظ العربية فيها خصوصا ما يتصل بالدين والفقه والمعاملات وقد دخلت هذه الكلمات العربية بعد تعديلها لتتلاءم مع اللغات المحلية · فتحولت الشين الى سين اذ يقال « سكو » عوضا عن شيخ وفصل بين الحروف المشددة بحروف متحركة فيقال « ممدو » عوضا عن محمد بعد حذف الحاء ···

وتقدر نسبة الالفاظ العربية باربعين فى المائة من لغة « السواحلى » فى افريقيا الشرقية · وتوجد ٥٠٠٠٠ عبارة فى لغة « الهاوسا » كما توجد ١٥ فى المائة من الالفاظ العربية فى لغات « الولف » و « الفولانى » و « المالنكى » و « السوننكى » فى افريقيا الغربية ·

* * *

وخلاصة القول ان الامكانيات الجديدة الناتجة عن الاستقلال بالاضافة الى الظروف التاريخية القديمةتزيد فى تقوية اللغة العربية وانتشارها فى افريقيا السوداء وبالتالى فى تاثيرها على اللهجات المحلية · مع الملاحظة ان هذا التعريب لا صلة له البتة بما يسمى « بالقومية العربية » بل كما يقول احد المسؤولين فى جمعية « الاتحاد الثقافى الاسلامى » بالسينغال « انه رجوع الى الماضى والى عصر الازدهار من ثقافتنا الافريقية ذات الطابع الاصلى الاسلامى » ·

وهكذا فان اثر الثقافة العربية واللغة العربية واسع عميق النفوذ فى المناطق الاسلامية فى الدول الافريقية بجنوبى الصحراء · وسيزداد هذا الاثر عمقا وانتشارا بعد الاستقلال · ولا شك انه سيكون للبلدان العربية فى تعليم لغتهم ونشر ثقافتهم دور هام فى تمكينهما واخراج الاسلام من جموده فى القارة السوداء والتحاقها بركب الحضارة ·

عبد المجيد رزق الله

ماذا أريد ؟

شعر : جعفر ماجد

أحيَا عَلَى حُلْمٍ لكم يَغفُو بِهِ نُورُ القَمَرْ
اللّيْلُ واحتهُ وأهْدابُ الكَوَاكِبِ والسَّهَرْ
لكِنّهُ أبدا يَطِيرُ مُهَفْهِفا فِي اللاّمَقَرْ

حُلْمٌ يَرِفّ بِهِ السَّنَا يَنْسَابُ فِي زُرْقِ البِحَارْ
يَهْفُو بِهِ هَبّ النَّسِيمِ لِغَيْرِ شَطّ أوْ قَرَارْ
وَيَذُوبُ فِيهَا مِثْلَمَا تَتَحَلّلُ ألْوَانُ النّهَارْ

إنّي أرَاهُ حِينَ يَفْنَى فِي مُتَاهَاتِ الغُرُوبْ
وَأظَلّ أرْنُو خَلْفَهُ وَالمَوْجُ رَقْرَاقٌ خَلُوبْ
وَأذُوبُ فِيهِ مِثْلَهُ ، أنَا مِثْلُهُ فِيهِ أذُوبْ

لَوْ كنْتُ أعرِفُ بَدْأهُ ! لَوْ كُنْتُ أعرفُ مُنْتَهَاهْ
فِي كُلِّ طِيبٍ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَا يَحْلُو أرَاهْ
لكِنّهُ شَيْءٌ غَرِيبٌ لَيْسَ لِي إلاّ هَوَاهْ

شَيْءٌ بَعِيدٌ كَالقَرِيبِ وَحَاضِرٌ مِثْلَ البَعِيدْ
أحيَا لَهُ كَالطِّفْلِ يَحْيَا لِلدُّمَى فِي لَيْلِ عِيدْ
وَعَلَى فَمِي هَذَا السُّؤَالُ أعِيدُهُ !
مَاذَا أرِيدْ ؟

جعفر ماجد

في أساليب القصة (*)

بقلم : عبد العزيز قاسم

نشرت فى احد اعداد الفكر الماضية كلمة بعنوان « الادب بين الحقيقة والواقع » ، ابديت فيها الراى بخصوص مضمون المحاولات فى ميدان القصة بتونس ، ونبهت الى مزالق التفصيل وتصوير الواقع باسم الحقيقة تصويرا فوتوغرافيا ، اذ ما حاجتنا الى وصف حالات بصدد الانهيار ؟ ان القصة المركزة على الواقع الدينى مثلا تبدو فى نظر الملحد، ـ وافضل القول فى نظر المفكر الحر ـ ابعد شىء عن الواقع ··· نحن نريد ادبا يتضمن الحقيقة العميقة التى لا تتغير، ادبا يحدثنا عن الانسان فى جوهره وفى مختلف هزاته وانفعالاته ، فى مشاكله الدائمة· كلنا مزدوج الشخصية ولكل منا «انا» يومى عادى معروف،والى جانبه « انا » جوهرى مجهول · وهذا المجهول هو الذى ينبغى ان نصل اليه عن طريق الادب ، علنا نقترب من حل لغز الحياة وابهامها· ماذا يطلب القارىء من القصة سوى نجدة فى العزلة ، واكتشاف الجوانب الخفية من حياة الاخرين ، وحلول صحيحة للنزاعات التى يخوضها،وتوسيع لافاقه وتجاربه بما يحصل له من وهم بانه يعيش حياة اخرى · لماذا نصر على جعل القصة تعالج مشاكل اجتماعية ؟ افليس الانسان محورا لكل قصة مهما كان نوعها ؟ الانسان مدنى بالطبع ، وكل ادب يحدثنا عن الانسان او يتجه اليه مدنى كذلك · ولكن سرد الاحداث والاعراض الزائلة لا يكون ادبا الا اذا اعتبرنا التقارير الادارية وزاوية حوادث المرور فى الصحافة ادبا ·

المسالة ما زالت فى حاجة الى كثير من التأمل والدرس · ولكنى اريد هنا بالخصوص ان أتحدث قليلا عن الاسس الفنية التى ينبغى ارساء القصة عليها كمادة · ويدعونى الى هذا البيان ما يتخبط فيه عدد من كتاب القصة عندنا من بلبلة وتشويش وقلة حذق ·

اول ما يتحتم توضيحه هو الفارق بين القصة الطويلة والقصة القصيرة علاوة عن القصر والطول · القصة الطويلة اطار لابعاد واسعة ، انها تتحدث عن الانسان وقد اكتملت حياته وانتهى حظه ، فحياة بطل القصة ، وكلمة بطل تجاوزها مضمون القصة الحديثة اذ هى تنقل حياة اناس عاديين ، فلنقل اذن،

(*) انظر الفكر ـ العدد الماضى ·

حياة الشخصية الرئيسية فى القصة تصل الى منتهاها • حتى اذا وجدنا انفسنا من خلالها ، كنا كمن بلغ الغاية من حياته ، خاصة اذا كانت القصة تعبر عن ثورة الانسان وتستجيب لرغبة الثار لانفسنا من عبثية الوجود ، اى خاصة اذا كانت خلقاً جديدا للحياة وفق افتراض بشرى •

اما القصة القصيرة ، فاكبر خطأ بشانها ، هو اعتبارها تلخيصا لقصة طويلة • القصة القصيرة لا تتناول حياة كاملة ، بل تختار قطعة او موقفا او حدثا او هزة عاطفية ما من حياة انسأن • ورغم هذا الفارق الجوهرى ، لا اعتقد ان الاسلوب مختلف مثل اختلاف المحتوى • من المعلوم أن بناء القصة التقليدية هرمى الشكل • فبداية القصة بما يحف بها من معطيات وعناصر تشكل قاعدة عريضة تصعد زواياها فى تقارب تدريجي لتلتقى جميعا فى قمة موحدة هى النهاية • ولا يخفى ما فى هذه الهندسة مهما كانت محكمة ، من بعد عن حقيقة الاشياء• فالحياة فى واقعها لا تبنى فى مثل الانسجام الذى نجده فى القصة التقليدية ، نحن لا نعيش حسب نظام وترتيب معينين • وظهور علم النفس قد ساعد على خلق قصة جديدة ليس لها تصميم تقدم الاحداث كما هى اى بدون انتظام او تسلسل منطقى وكثيرا ما تبدأ القصة باستفهام • لقد تجاوز التقدم الفنى القصص التى تبدأ بالوصف الدقيق • ومن هنا وجب اهمال التفاصيل وتحريفها احيانا لتركيز الاهتمام فى الحركة الاساسية •

كانت القصة التقليدية ، تعتمد الحركة ، بينما تعتمد القصة الحديثة الايحاء والانطباع غير المباشر ، وكان القصاص التقليدى متواصل الحضور يعلق ويشرح اما القصاص الحديث فانه يفسح المجال لاشخاص قصته ولا يسمح لنفسه بتعويضهم • انه ينقل صوت الشعور مباشرة بدون ان يفرض عليه الوصاية •

ما ابعدنا عن القصاص غير الواثق بما يكتب ، او بفهم القارىء ، القصاص الذى يحشو جمله كلاما لا حاجة للقصة به • قد يقصد بالحشو زيادة الوضوح ، ولكن الوضوح لا يشكل اسلوبا ، لانه غير شخصى ، كثير من العلماء والفلاسفة يكتبون بوضوح ولكنهم لا يبلغون مرتبة الكتابة • ومن شروط الكاتب ان يكون له اسلوب قبل ان تكون له مادة ، والاسلوب هو الطابع الذى يوقعه المزاج والشخصية والعواطف فوق التعبير • هناك كتاب يمتازون بالحيوية مثلا فاذا بجملهم تاتى متقطعة لاهثة ، وهناك كتاب ذوو مزاج حالم تاتى جملهم هوائية لا ندرى من اين تنطلق ولا الى اية غاية تسير••

الاسلوب هو الابتكار، هو تجنب الكليشيات فالكليشى لا يعكس الشخصية•

قلت ان القصاص الحديث لا يلجأ الى الشرح او التعليق حتى يكون الانطباع صادقا طبيعيا • اذا اراد الكاتب ان يقدم لنا مفاجأة ، فليقدمها لنا بدون ان يقول : « وفجأة ••• » حتى نفاجأ بدورنا ونشارك مشاركة فعلية فى

الاهتزازات الطارئة • هذه المشاركة هى التى نجح مصطفى الفارسى فى الحصول عليها من قبل القارىء فبعد ان عدل شخص قصته عن الانتحار وعاد ينظر الى الحياة نظرة وليد جديد يكتشف مباهجها : « ••• من قال انى ساموت ؟ انا ساموت انهم يتحدثون عن الموت والمجال مجال حياة لله ما اسخف البشر •

ــ لقد نزف منه دم غزير • راسه كرة حمراء •

ــ دم غزير •

ــ لقد سقط الاناء من نافذة الطابق السادس •»

....

لقد سقطت علينا المفاجأة سقوط الاناء نفسه على دماغ صاحبها • انا اعرف كثيرا من القصاص الذين يرون انفسهم مضطرين الى الربط بين الاحداث فيقولون : « وبينما كان سائرا منتشيا فرحا بالعودة الى الحياة اذا بامرأة فى الطابق السادس تدفع عن غير قصد بالاناء الموجود بالنافذة فسقط على راس المسكين الذى سقط على الارض بدوره فاحاط به جمع من المارة وقال احدهم « لقد نزف منه دم غزير ••• »

ثم ان هذا الاسلوب هو الذى يساعد على بلورة ما يقصد الكاتب بعمليته الحسابية الغريبة اى 2 + 2 + الطارىء = 5 • هذا الطارىء الذى انضم الى عناصر العملية قد ظهر قبل هذا الحادث ، على الرصيف ، والرجل يهم بوضع حد لحياته ، اذ بالشرطى يفاجئه ويحول بينه وبين ما يريد •

نلمس فى هذه القصة تاثير التيارات الادبية الحديثة من عبثية ووجودية وما ينبع منهما وما يلصق بهما من مشاكل اجتماعية ونفسية • هل من فائدة ، هل من جدة فى التأكيد بان كل قصاص لم يدرس الفلسفة علاوة على دراسة الادب العالمى وتطور الخلق الفنى عبر العصور ، ولم يكن فى الان نفسه ناقدا بالمعنى الجديد للكلمة ، عليه ان يبحث لنفسه عن مهنة اخرى ؟ ان الجوائز الادبية ليست بالضرورة شهادة واعترافا بقيمة الكاتب • فالقيمة الحقيقية تكمن فى استيعاب الكاتب لثقافة عصره ، فى اتصاله الدائم بها • فالجاهل ، فى ميدان الادب خاصة ، هو من انقطعت صلته بالثقافة منذ اربع وعشرين ساعة • واقول لمن ينكب ليل نهار على التحقيق والتفتيش فى المخطوطات القديمة ان هذا الجهد لا يدخل فى مفهوم الثقافة التى اعنى • ففى تونس اليوم ، يحتاج ادبنا الى قفزة عاجلة تلحقه بالصفوف الامامية من الادب الحى• لست اناهض البحث فى ذاته • ولكنى اعتبره ترفا فى الحالة الراهنة ، بل اكاد اعتبره مضيعة لوقت ثمين : ينبغى على الاديب ان يستوعب ثقافة عصره قبل العمل على احياء الاثار المنسية خاصة اذا لم يكن من شان تلك الاثار ان تساهم فى اثرائنا اثراء عمليا مباشرا •

مصطفى الفارسي اديب مثقف له جميع المؤهلات ليكون قصاصاً في مستوى كتاب العصر ٠ له اسلوبه القوى المحكم ، وله تعابيره الجديدة الجريئة ، وله كلماته التي تؤدى اكثر من معانيها ٠ ماذا يعنى الفارسي عندما يثبت ان الشاب في قصته ، قبيح الوجه ، مضرب للامثال في الدمامة منذ الصغر ؟ هل يعنى انه مشوه الخلقة؟لو كان كذلك لقاله٠انه يريد بلا ريب ان يقول ان «وجهه لا يعجب الناس » بما في مفهوم هذه العبارة من اعتبارات نفسية ٠ فهذا الشاب رسمت الاقدار على وجهه سمات الفشل فاذا هو في اصطدام مستمر مع الحياة ، واذا هو غير منسجم ٠ ان الفارسي لا يقول لنا هذا ، انه يقف موقف الناس من هذا الشاب ، وفي ذلك ايحاء يضفى على القصة سحرها ٠ في هذه القصة القصيرة تتبلور صور وافكار عن مأساة الوجود ، عن الخيبة ، عن خلو بعض الغربان البشرية من اية عاطفة ، كل ذلك في اسلوب غير مباشر ، في تسجيل مباشر للشعور والانطباع الحي ٠

ان كان في هذه القصة عيب فهو ان ظهور الشرطي على الرصيف ابان محاولة الانتحار حركة تقليدية ، ليس فيها جدة ولا طرافة ، وهذا لا يتماشى مع جو القصة العام الذى يندرج ضمن اجواء القصة الحديثة٠٠٠ نعم قد يكون الكاتب تعمد ذلك الموقف التقليدي فالحوار مع الشرطي تقليد ىمقصود (يسائله عما يعتزم فعله ، في حين ان الامر واضح ٠٠٠ شرح عمل الحبل والمسدس والسكين والحجرة ، شرحا قاموسيا ٠٠) ولكن القارىء يخرج عن الاطار النفساني بصفة مؤسفة٠كان على الكاتب ان يبحث عن مانع آخر اكثر انسجاما مع اسلوبه ٠

ولكن مصطفى الفارسي رغم ثقافته ورغم ادراكه لجميع جزئيات الفن القصصي يشترك مع عبد المجيد بنجدو في عيب اساسي هو عدم الصبر ٠ فكلاهما لا يصبر على مراجعة آثاره وتحمل معاناة الخلق من جديد ، فكل عمل فني في حاجة دائمة الى تشذيب وتهذيب ٠

ورغم هذا التحفظ فان قصة الفارسي مثل يحتذى ، اذ هى انموذج للقصة في بنائها وفي اسلوبها الشيق الشخصي ٠

عبد العزيز قاسم

شعراء تونسيون في معركة السفور والحجاب وترقية المرأة

بقلم : أحمد خالد

... ما كان القصد من تعليم المرأة التونسية المسلمة فى الثلث الأول من القرن العشرين تشريكها فى أعمال الرجال فى المجتمع وتمكينها تدريجيا من اكتساب حقوقها . حتى جل انصارها فى ذلك الطور من تاريخ تونس ، فانهم ما تخلصوا بعد من عقيدة أن « المرأة للبيت » ؛ وما تخلص من هذه العقيدة ، واعتبر المرأة للبيت وللشغل أيضا الا عدد قليل جدا من المفكرين دعاة الاصلاح ؛ ومن أشهرهم فى أوائل هذا القرن الشيخ سالم بن حميدة المصلح المغبون الذى طبق دعوة تحرير المرأة فى بناته ، وصدع بها فى رسائله ومقالاته ومحاضراته وأشعاره ؛ وهاك هذه الفقرة الهامة من رسالة كتبها فى تلك الظروف الى صديق ؛ وقد تفضل صهره السيد الحبيب عباس باطلاعى على نص الرسالة بخط يد الشيخ سالم :

« ان التعليم الواجب اعطاؤه للبنت المسلمة هو التعليم الذى يؤهلها لأن تكون عضوا عاملا فى كل ما يدعو اليه الجهاد الحيوى لعموم بنى الانسان ، بحيث يؤهلها لأن تكون معلمة ومشرعة ، ناخبة منتخبة ، سياسية داعية للصلح والسلم كأم المؤمنين عائشة زوجة محمد رسول الاسلام المعظم ، ممرضة فى ساحة الحروب والأوبئة تنجد الانسانية المكلومة الموبوءة بحنانها وعطفها عند الضرورة ، فى غير من ولا أذى كسائر أزواج ذلك النبى الكريم وأزواج أصحابه ، وملكة قادرة على تدبير ملكها فى سلام كصبيحة فى الأندلس أيام الأمويين ... وست الملك فى مصر أيام الفاطميين ، وعالمة أديبة فنانة كعباسة فى دولة العباسيين ، وزوجة برة كسائر نساء المدنية الاسلامية فى عصورها الذهبية ، وأما رؤومة رشيدة كسائر الأمهات الرشيدات ... » .

وان الشيخ سالم بن حميدة صدع بدعوة تحرير المرأة ، وحث على منحها تعليما يؤهلها لأجل الوظائف الاجتماعية منذ أوائل القرن العشرين ؛ وقد نشرت له جريدة « مرشد الأمة » بتاريخ 16 جوان 1911 قصيدة طريفة ألقاها فى حفلة زفاف صديقه البشير الفورتى صاحب جريدة « التقدم » ، ودعا فيها الى تعليم البنت وترك حرية الاختيار للزوجين ، ومنع تعدد الزوجات ، ووضع حد للحيف فى الطلاق ، وعدم الاسراف فى الصداق ، واجتناب الزواج من

أجل الطمع فى الثراء ؛ وهاك نفثة من نفثاته فى قصيدته التى يستهلها بقوله :

يا حادى العيس عرج للملا وسل فما لبدر التهانى مطرقا قبلى

الى أن يقول :

فانما الزوج مس مارد أبدا اذا رأت زوجها منها على دخل
وانما الزوج روض من رياض هدى متى رأت نفسها قسيمة الرجل
لله ضر زواج لا اختيار به أساسه الجهل بالزوجات من علل
لله شر زواج لا وداد به أساسه الغصب بئس انكره من خلل
قد حقر الشرع عقدا الا أساس له الا الثراء لما يعروه من فشل
قد حرم الشرع تعداد الزواج اذا به قد غدت صلة منه على وجل
لله غم صداق باهض ثمنا كم ضيق العيش لولا فسحة الأجل
لله هم طلاق قاطع رحما محرما قطعه فى ساعة الوهل (1)

وان المرأة ، فى رأى الشيخ سالم بن حميدة ، هى الوسيلة المنقذة للشعب من سجن العبودية ومن الجمود ؛ وذلك هو ما عبر عنه فى مخمس شعرى بعنوان « الفتاة » ألقته احدى بناته فى حفل تكريم صديقه الطاهر الحداد بكازينو البلفدير بعد زوال يوم 17 اكتوبر 1930 ؛ وهاك نفثة من نفثاته فى هذا المخمس الشعرى ، فانتش بساحر لحنها :

زهرة الأوطان أنت الأمل فيه نحيا أنت نعم الموئل

* * *

آه يا زهرة الرياض الغضة يا شفا الأدواء اذ ما اكتظت
تونس تدعوك هل من نهضة تدرأ البلوى وتحيى روضتى

وطن يشدوك عنى البلبل (2)

تلك هى دعوة الشيخ سالم بن حميدة فى أوائل القرن العشرين ؛ لكن الآذان صمت عنها وعن غيرها من الدعوات الاصلاحية .

وعلى ذكر الشعراء لا بد من الوقوف ههنا ، ولو وقفة قصيرة ، عند أشعار

(1) « مرشد الأمة » 16 جوان 1911 « زفاف رصيف » .
(2) « نشرة حفلة تكريم الطاهر الحداد » « الفتاة » شعر الشيخ سالم بن حميدة ص 17 .

ممن خاضوا معركة السفور والحجاب وترقية المرأة من بين شعراء الثلث الأول من القرن العشرين ببلادنا ٠

أجل ، فى تونس الخضراء ، رفع الشعراء أصواتهم فى معركة ترقية المرأة وتحريرها ، الى جانب مشاهير الشعراء المشارقة فى مطلع عصر النهضة كجميل صدقى الزهاوى والرصافى فى العراق ، وحافظ ابراهيم فى مصر ٠

فهذا سعيد أبو بكر المولود سنة 1899 ، وهو من أبرز شعراء جيل الطاهر الحداد ، ينطق بلسان التونسيين الأيقاظ ، ويعبر عن آمال الشعب وآلامه فى غير ما موضع من قريضه ، ويعالج مشاكل مجتمعه وبخاصة قضية المرأة ، ويقاوم عقيم العادات ؛ وهو من شعراء النهضة الذين يريدون الاصلاح عن طريق التعليم ، ويعلنون فى أشعارهم أن انقاذ الأجيال الصاعدة لا يتأتى الا بتثقيف البنات أمهات المستقبل ؛ فها هو يهيب بقومه أن يقاوموا داء الجهل بفتح المدارس ، والتسوية بين الذكور والاناث فى التعليم ، فى الأبيات التالية المقتطفة من قصيد نشره فى جريدة « الصواب » يوم 21 ماى 1920 :

أحبـاى ! هلا غركـم باطـل الهنـا   وأكبـادكـم نـار الجحيـم تذيبهـا ؟
وهل أعجزت كل الأسـاة جراحكم ؟   اذن فاسمعـوا قـولى فانى طبيبهـا :
هلمـوا وحلـوا فى البـلاد مدارسـا   ليصعـد أسبـاب المعـالى نجيبهـا
ولا تحرمـوا بنتـا رضـاعة ثديهـا   فـلا شىء فى تلـك الديـار يعيبهـا
هـى الأم يكفـى أن نراهـا تحفنـا   بواجبهـا ، والله عنـا يثيبهـا
فيشدو هزار السعد فـوق رؤوسنـا   وينشـد أفراحنـا عنـدليبهـا
ونجنـى مـن الأثمار أحـل مذاقة   ويـدنـو الينـا رطبهـا ورطيبهـا
الى مثـل هـذا فلتقومـوا فاننـى   أرى فتكـات الجهـل دب دبيبهـا (I)

ويندب سعيد أبو بكر حالة بلاده التى تعاقبت عليها الرزايا والمحن ؛ ويرى أن جهل المرأة هو سر البلاء ؛ فاسمعه يقول على لسان أخ يؤنب أخته الجاهلة ، فى قصيدته « المرأة والأخلاق » بهذا الشعر المهموس :

خففى « ليـلاى ! » مـن هـذا الأسى   أنـت أسبـاب حيـاة أو ممـات
أنـت ثقـل فوقنـا لمـا يخـف   أنـت فـوق الصاعقـات الماحقـات
أنـت أذللـت كـرامـا تحـت خـف   أنـت أذبلـت غصـونـا يـانعـات
فى مضيـق الجهـل ضيعـت الأمـل   ورميـت النشء فى ذاك المضيـق
لـو تعلمـت بـأوقـات الصغـر   مـا اقترفت اليـوم ذنبـا لا يطـاق
أمهـات ! قفـن فى وجـه البـدع   وأرحن الشعب من هذى الهمـوم (2)

(I) نشر كامل القصيد فى جريدة « الصواب » يوم 21 ماى 1920 ، وفى ديوان سعيد أبى بكر « السعيديـات » ط٠ تونس 1927 ص 86 ــ 87 ٠

(2) « السعيديـات » ص 20 ــ 22 ٠

والرأى عند سعيد أبى بكر أن المرأة هى الواسطة المنقذة للشعب من « سجنه الكبير » سجن التبعية والعبودية اذا تزودت بالمعرفة وأحسنت تربية النشء :

أواه ! أيتها الحسناء ليس لنا إلاك منقذة من ذلك العوج
هاك الشبيبة لا تستعظمى عملا فيهم فما صبحنا منهم بمنبلج
واستصحبى الحزم فى إخراج ناشئة واستصحبى الحذق فى غزل وفى نسج
كونى لزهرتهم طلا يبللها حتى تضوع بما نرجوه من أرج (1)

والبيت فى رأى سعيد أبى بكر هو المدرسة الأولى حيث تقوم أخلاق الناشئة ، وتهذب أرواحهم ؛ والمرأة المهذبة المثقفة قد تغنى عن المدرسة :

معامل الروح ليست فى مدارسنا آلاتها بين أستاذ وأولاد
لا تفتحوها اذا كانت لمرأتنا فى بيتها روح تهذيب وإرشاد (2)

ويناجى الشاعر الأم وصبيها فى قصيد « حجور الأمهات » مذكرا اياهما دورهما الخطير فى انقاذ الأمة من تدلى عصور الركود :

أيا أم ! إنكما ، فاعلمى ، أجل من المصلح الأكبر
وإنكما قائمان معا لدينا بدوركما المخطر
فان تصلحا كان إصلاحنا وديهات للغرب أن يزدرى
والا فنحن بأوطاننا على الأرض موتى ولم نقبر (3)

ويقاوم سعيد أبو بكر ، نصير حرية اختيار الزوجين ، ارغام الفتاة على التزوج بالمثرى ، رغم رغبتها فيمن تحب :

زفوا الفتاة لمثر ، رغم رغبتها فيمن تحب ، ومن أميالها سخروا
خطوا الصداق ، فكان الخط من ذهب ، والطرس من فضه ، والبشر ينتشر
لكنهم بعد حين سطروا بدم رسم الطلاق ، ألا يا ناس فاعتبروا(4)

ويقص علينا هذا الشاعر مأساة فتاة امتنع أبوها من تزويجها بفتى تهواه ويهواها ، طمعا فى مال مثر ، وراح يسومها العذاب ليرغمها على قبول الزوج الذى اشتراها بالعين ، أى بالذهب والفضة ، فسقطت الفتاة ضحية الطمع ؛ ويمهد سعيد أبو بكر قصته الشعرية الطويلة بهذه الأبيات الحكمية الدالة على أن المجتمع التونسى اذاك كان ينفر من نداء المستنهض المصلح :

---

(1) « السعيديات » ص 69 — 70 .
(2) « السعيديات » ص 54 .
(3) « السعيديات » ص 38 — 39 .
(4) « السعيديات » ص 34 .

لا تلوموا الدهر فى أعماله ليس للدهر سوى تلك العبر
وافصحوا أعمالكم كى تبصروا شؤمها يبدو علينا للبصر
كلما فكر فيكم مصلح عاد تصلى رأسه بعض الفكر
رب ذى نصح رمى أخلاقكم فانثنيتم عنه ترمون الحجر (I)

وفى حوار قصصى بين رجل أضاع ثروته فى اللهو وفتاته الراغبة فى الزواج ، يذم سعيد أبو بكر عقيم العادات فى الأعراس كالاسراف فى النفقات ؛ ويفيدنا أن الزواج أصبح ، فى عصره ، مخوفا مجتنبا ، لما يتطلبه من نفقات طائلة ومال وافر ؛ فاقرأ معى هذا القسم من الحوار المقتطف من قصيدته « البدع والاسراف » التى ألقاها فى الحفلة الافتتاحية لجمعية مقاومة البدع والاسراف يوم 23 جانفى 1922 :

حتام لا أهدى عروسا يا أبى يا من تقضت بالبكا ليلاته
حتام والشعب المفدى يرتجى إكثار نسل ترتجى حركاته
فتنهد المسكين والعين لها مالت وقد زادت به زفراته
بنتاه ! رفقا ! لا تزيدى فى أسى قد أحكمت فى بعضها حلقاته
بنتاه ! مهلا ! ليس لى من أصفر للعرس تبدى فرحتينا ذاته
بنتاه ! إن العرس أمسى ضيغما عن كل مكلوم الجوى وثباته
قد أبدلت هيآته ، حتى لقد آلت الى مستقبح هيآته
يا لهف قلبى عن جمال دنست آثاره وتناسخت آياته
قد عاث فيه المفسدون كأنهم قد أحجبت عن عينهم غاياته
من لى بما تحوى خزائن بعضهم حتى تجيب « عزيزتى » رناته (2)

ولا تنس شعر الشابى ، ففيه تقديس المرأة وتعظيم مقامها ؛ انها واسطته المنقذة من محنته الكونية ، يدعوها ابنة النور ، ويرتجى منها السلام والرحمة والفرح الروحى ؛ وهى عنده ربة الالهام :

يا ابنة النور إننى أنا وحدى من رأى فيك روعة المعبود
فدعينى أعيش فى ظلك وفى قرب حسنك المشهود
وامنحينى السلام والفرح الرو حى يا ضوء فجرى المنشود
وارحمينى فقد تهدمت فى كو ن من اليأس والظلام مشيد (3)

وهاك نفثة أخرى من نفثاته تعرب لك عن مدى تقديسه للأم :

(I) « السعيديات » ص 3I — 34 .
(2) « السعيديات » ص 8I .
(3) الشابى « صلوات فى هيكل الحب » الديوان ص I23 .

الأم تلثــم طفلهـــا وتضمـــه   حـرم سمـاوي الجمـال مقـدس
تتـألــه الأفكــار وهي جــواره   وتعـود طـاهـرة هنـاك الأنفس
حـرم الحياة بطهـرهـا وحنانهـا   هـل فوقـه حـرم أجـل وأقـدس
بوركت يـا حـرم الأمـومة والصبـا   كـم فيك تكتمل الحياة وتقـدس (1)

ويصدع شاعر آخر من جيل الحداد ، وهو الهادي المدني المولود سنة 1901 بالدعوة الاصلاحية التي وجدناها عند سعيد أبي بكر ؛ ويحث الآباء على تعليم بناتهم لأنهن أمهات الأجيال الصاعدة ونصف الأمة ؛ فلا سبيل ، في نظره ، الى ضمان المستقبل الا بتثقيفهن وتربيتهن على الفضيلة :

علمـوا المـرأة العلـوم تـروهـا   بعـد حيـن لكـم كحصـن حصيـن
لقنـوهـا الآداب تنبـت لكـم خيــ   ـر شبـاب يـزهـو بفكـر متيـن

ودونك هذه الأبيات من مطولة شعرية لعبد الحميد العباسي ، نشرها الصحافي الطيب بن عيسى في جريدته « المشير » سنة 1911 ، فاقرأها تجد فيها دعوة الى الاعتناء بتربية الفتيات لأنهن ، في رأيه ، أمهات المستقبل ومربيات الأجيال وأصل الرشاد اذا تعلمن وتهذبن ، ومنبع كل فساد اذا بقين جاهلات :

ربـوا الفتـاة ، إن طـابت مداركهـا   طبتم حيـاة وزالـت عنكـم الغمـم
ربـوا الفتـاة تروا من شأنها عجبـا   ففي يـديهـا لكـم ذخـر ومغتنـم
البنـت إن علمت زادت محاسنهـا   وصانهـا العلـم عـن إتيـان ما يصم
البنـت إن علمت نلنـا عـلى يـدهـا   مـا لا ينـولنـا سيـف ولا قلـم
المـرأة الأصـل والأخـلاق في يدهـا   وإنمـا الأمـم الأخـلاق والشيـم

ونشرت مجلة « العالم الأدبي » للمرحوم زين العابدين السنوسي في عدد سبتمبر 1930 قصيدة للشاعر فرحات بن محمد الصالح بعنوان « فتاة تونس » نسجها على منوال قصيدة « النفس » لابن سينا التي مطلعها :

نـزلت إليـك مـن المحـل الأرفـع   ورقـاء ذات تمنـع وتحجـب

وضمن الشاعر التونسي شطر بيت وعبارات كثيرة مقتبسة من شعر الفيلسوف الطبيب ؛ وأخرجت القصيدتان في بحر الكامل وتشابهتا في الروي والقافية ، لكنهما اختلفتا في الغرض . أما قصيدة فرحات بن محمد الصالح ، فهي اجتماعية تعالج مشكلة المرأة التونسية في سنة 1930 ، وتتضمن دعوة الى تعليم المرأة التونسية ومنحها حقوقها المهضومة ، ورفع الحجاب عنها لتنعم بفرحة الحياة ، وتساهم في انهاض الأمة من سبات عصور التدهور ؛ وأما

(1) الشابي « حرم الأمومة » الديوان ص 182 .

قصيدة ابن سينا فهى فلسفية تطرق موضوعا ما ورائيا متعلقا بمأساة النفس الساقطة من عالمها العلوى الى عالم العناصر حيث حلت فى سجن البدن ؛ ومطلع قصيد الشاعر التونسى :

ذات المحاسن والذكاء الأبدع ضاعت حقوقك بين قوم هجع

الى أن يقول :

سيقول قومى إننى متهتك أبغى السفور لصاحبات البرقع
فأجيبهم والبؤس ملء جوانحى من حالهم والحزن يصهر أضلعى
يا قوم هبوا علموا فتياتكم ودعوا التصامم فهو صعب المصرع
أو لم تروا كل النوائب قد أتت ضمن الجهالة ثم لم تتقشع
أو نرضى أن تبقى النساء جواهلا ونروم عزا للبلاد وندعى ؟
كلا فـ « تونس » لا نهوض لها إذا بقى النساء بجهلهن الأشنع
نساؤكم يا قوم نصفكم وهل جسد يقوم بنصفه المتضعضع .. (1)

وكما أن للمرأة انصارا دافعوا عن حقوقها ، وان لم يؤيد بعضهم سفورها ، كذلك كان لها خصوم عارضوا تطورها ، وقاوموا دعاة تحريرها ، وعللوا مناهضتهم السفور تعليلا دينيا اذ السفور فى عرفهم يمس الدين ؛ وهذا مصطفى آغة (1877 – 1946) الشاعر المحافظ على التقاليد يذم الرقى ومظاهر التمدن كالسفور الذى يعتبره انحرافا عن الاسلام ؛ ففى قصيدته « احتضار الرقى » دعوة الى الجمود غريبة وحث على التمسك بالموروث ، ومن ذلك الحمار ؛ وقد نشرها فى جريدة « الصواب » بتاريخ 22 جانفى 1926 ونقلها زين العابدين السنوسى فى كتابه « الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر » (2) ؛ واليك هذه الأبيات من قصيدته المذكورة ، فاقرأها لمزيد تيقن مما ذكرت لك :

هل أتاكم حديث حزب عراة ملأ الدنيا حيرة ودهاها
أرأيتم أن الغوانى أمست فى غنى عن ثيابها لاحلاها
يا ترى هل أتت على الناس أحيا ن من الدهر أفقدتها نهاها
فانتباها بنى الرقى فأنتم قد بلغتم من الذرى أعلاها
وأنى دور الانحدار وهذى هوة الانحطاط تفتح فاها

(1) « العالم الأدبى » سبتمبر 1930 « فتاة تونس » شعر فرحات بن محمد الصالح – الفحص – زغوان .

(2) زين العابدين السنوسى « الأدب التونسى فىالقرن الرابع عشر » ج 2 ص 40 – 41 .

فلقد خط دهركم صفحات فهم اليوم ذو الحجا فحواها
وقضى ، بعد أن تمعن فيها ، : أن أرقى خليقة أشقاها

والرأى عنده فى قصيد آخر بعنوان « المرأة التونسية والحجاب » أن التمدن ليس تبرجا وخلع عذار ، وانما هو تثقف وسمو عقلى بالمعرفة وأن الثقافة الحق لا تحصل الا بالرجوع الى الماضى المجيد وحفظ اللغة العربية ، وان كان لا يرى بأسا فى تلقين البنت المسلمة لغات الغرب ؛ ويعلل الشاعر ظهور المرأة سافرة بما هى عليه من جهل يجلب العار لقومها اذا اختلطت بالأجنبيات المثقفات ؛ ولذا يدعو البنت التونسية الى التسلح بسلاح العلم قبل طلب السفور ؛ ويبقى السفور فى نظره مهما يكن من أمر هتكا لحرمة الشرع وشذوذا عن سنن العرب ؛ فاسمع هذه الأبيات المقتطفة من قصيده « المرأة التونسية والحجاب » المنشور بجريدة « لسان الشعب » بعددها الصادر يوم 2 جانفى 1924 :

تعالت على سنن العرب وباتت تئن من الحجب
فما المدنية خلع عذار ولا بتعاطى ابنة العنب
أراك ضحية جهل وطيش على مذبح اللهو واللعب (1)

ويوازن مصطفى آغة فى قصيد بعنوان « الزواج بين اغراء المدنية ومصاعب التغالى فى المهور » بين تهتك الخليعة المتبرجة المحتالة فى نصب شراك الاغراء للرجال وبين المصونة فى بيتها الزكية الأعراق ؛ فهذه ، فى نظره ، يصعب لقاؤها ، ولا يطاق صداقها ، فينطفىء مع الأيام جمالها ، وينشف ماء شبابها ؛ وتلك يهيم بحبها الرجال وان قل صونها وكثر غدرها ، لأن قلوبهم خالية من حب العفيفات اللاتى يبعن بالمهور المشطة :

سل من رمت مهج الورى أحداقها عما لقى من غدرها عشاقها
كم أحرقت كبدا بنار صبابة قد حل فى شرع الهوى إحراقها
فاقت لواحظها سهام كنانة يوم الوغى وقد انبرى فواقها
كسدت بضاعة صونها لكنما راجت بحسن ظاهر أسواقها
فمن الخداع حياتها ، وغناؤها إغراؤها ، ونفاقها إنفاقها
إن القلوب إذا هوتها كلما زادت خفوقا زادها إخفاقها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا ة لمن دهاه دلالها ونفاقها !
من للذى حاكت له من حسنها شركا كما أوحت لها أذواقها
من للذى حلت فؤاده عنوة بحليلة حسنا زكت أعراقها

(1) نشر القصيد أيضا فى كتاب « الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر » ج 2 ص 34 — 35 .

أسفـا ! فهـذه لا يكـون لقـاؤهـا   سهـلا ، وتلكـم لا يطيب فـراقهـا
أسفـا ! فتلكـم لا يغـادر سهمهـا   قلبـا وهـذه لا يطـاق صـداقهـا
كـم مثلهـا مقصـورة فى خـدرهـا   قـد طـال فى خلـواتهـا إطـراقهـا
وتصـاعـدت زفـراتهـا حـراء مـن   نكـد الـزمـان وأغـدقت آماقهـا
قد زاد فـوق البـدر عشـرا سنهـا   وبـدا حليـا للعيـون محاقهـا (1)

ويعيب هذا الشاعر الآباء الذين يرهقون بناتهم بحجزهن فى البيوت بعد سن البلوغ بكثير نتيجةشططهم فى المهور ، ويسمعنـا نغمـة جديـدة غير مألوفة عنده :

يـا أيهـا الحـامى الذى يحمى المهـا   مهـلا فليـس بعـادل إرهـاقهـا
ظللتهـا بحمـايـة الآبـاء لـ   ـكن لا يجـوز لعمـرك إلحاقهـا (2)

وكما أن الشاعر العراقى جواد الشبيبى يعلل المحافظة على الحجاب تعليـلا دينيا فى رده على داعى السفور قاسم أمين بقوله :

منـع السفـور كتـابنـا ونبينـا   فاستنطقـى الآثـار والآيـات
تلك الوجوه هى الريـاض بها ازدهت   للنـاظرين شقـائق الوجنـات
كـانت تكتـم فى البـراقـع خفيـة   مـن أن تمس حصـانـة الخفـرات
واليـوم فتحهـا الصبـا فتساقطت   بعـواصـف الألحـاظ والقبـلات
صـونى جمـالـك بالبـراقـع إنهـا   ستر الحسـان ومظهر الحسنـات (3)

كذلك يعلل عبـد الـرزاق كرباكـة المولـود سنة 1904 بتونس العاصمة مناهضته السفور تعليلا دينيا فى عتابه الموجه الى « داعية رفـع الحجـاب » ، ويريد بها السيدة منوبية الورتانى التى ألقت سنة 1924 محاضرة طالبت فيها بحقوق المرأة التونسية وازالة الخمار عنها ؛ فها هو يقول فى مطلـع قصيـده المذكـور :

أعقيلـة الاسـلام هـل يـرضيـك   هتـك الحجـاب ومس شـرع نبيـك
مـاذا رأيت أفى التبـرج زبـرج   يـا سـوأة القـوم الألى ولـدوك
مـا أنجبـوك لكـى تكـونى سبـة   للغيـر يشنـاهـم بهـا شـانيـك

(1) نشر القصيد كاملا فى كتاب « الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر » ج 2 ص 23 .
(2) « الأدب التونسى ... » ج 2 ص 23 ــ 24 .
(3) الدكتور ماهر حسن فهمى « قاسم أمين » ص 173 .

تالله داعية التهتك لم تراعى الدين لم ترعى حمى أهليك
ماذا يضرك ذا الحجاب وحرزه حتى انبريت تسفهين ذويك (1)

بيد أن عبد الرزاق كرباكة تخلص من ذلك التزمت عندما عرف الطاهر الحداد ، وأعجبته آراؤه الاصلاحية فى شأن المرأة ؛ ولقد أطنب فى تقريظه والتنويه بكتابه فى قصيد بعنوان « كلمة بريئة » ألقاه سنة 1930 فى حفل تكريم الحداد بكازينو البلفدير ، واستهله بقوله :

ليومك فى الأوهام والشبهات أغر الضواحى خالد الصفحات
وقفت لدين الله فى جبهة الردي تكافح عنه البهت والنزعات

ويرى شاعر تونسى آخر بارز فى تاريخ نهضتنا الأدبية فى مطلع عصر النهضة ، وهو صالح السويسى المولود عام 1879 ، أن تعليم البنت واجب لكن مع الحجاب ؛ فاسمعه ينصح ابنته رشيدة بهذه الأبيات :

عيشى كجدتك البتول ببيتها وعن التبرج والهوى أنهاك
كونى كعائشة ولا تتقاعسى عن كل علم فيه نور هداك
لا تكشفى منك الحجاب فانه صون به ترضين من رباك

ويسير أبو الحسن بن شعبان ، المولود بتونس العاصمة سنة 1897 ، فى طريق صالح السويسى ؛ فهو لا يرى السفور الا سبيلا للتهتك والتبرج والاغراء ؛ وينادى بوجوب تهذيب المرأة طبق الأخلاق الاسلامية ، مع المحافظة على الحجاب وابقائها فى قعر بيتها ، معللا تزمته تعليلا دينيا ؛ فاسمعه يعظ المرأة وقومه فى تونس فهذه الأبيات المقتطفة من قصيدته الطويلة « المرأة والسفور » :

صونى محياك صونى عن خائنات العيون
ولتسدليه خمارا يقيك شر الظنون
ففى الحجاب احتجاب عن نظرة من خؤون
يا قوم صدوا العذارى عن مأرب ملعون
وارقوا بهن وبثوا فيهن روح الدين (2)

وفى قصيد آخر بعنوان « الشباب والحجاب » نشر قبيل صدور كتاب الطاهر الحداد « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » بجريدة « النديم » بعدد 15 فيفرى 1930 ، يزهد أبو الحسن بن شعبان الآباء فى السماح لبناتهم بالسفور ، بدعوى أن هتك الحجاب زيغ عن الدين ، وطريق الى الفجور ، ومدعاة

(1) ز . ع . السنوسى « الأدب التونسى ... » ج 2 ص 259 ـ 260 .
(2) « الأدب التونسى ... » ج 1 ص 56 ـ 57 .

الى هدم القيم وتدنيس الأعراض والأنساب عند اختلاط الجنسين ، وابتعاد عن التمدن الصحيح • ويصور لك الشاعر المحافظ فى قصيده المذكور المرأة السافرة بين الرجال ، فاذا هى كالطريدة تضايقها الأسد وكالنعيجة فى قطيع ذئاب ، واذا هى مغرية قد تفننت فى تهييج حواس الرجال ؛ وكأن الشاعر يقول لك بلهجة استنكار : « أهذا هو ما يريده أنصار السفور ؟ » وليس المقام بسامح لنا أن نتبسط أكثر بايراد كامل القصيد ، ففى استهلاله كفاية :

أيليق بالفتيات كشف حجاب   من قبل أن يكسين بالآداب

وتلك المعانى نفسها أخرجها الشيخ الطاهر القصار فى قصيد بعنوان « حسبوا التمدن فى السفور » ، نشره فى جريدة « النديم » قبل أسبوع واحد من ظهور قصيد أبى الحسن بن شعبان « الشباب والحجاب » فى نفس الجريدة ؛ وزاد الطاهر القصار معنى سياسيا ، هو أن السفور طريق لتنصير المسلمين وفرنسة البلاد ؛ وان قصيده وقصيد أبى الحسن بن شعبان مهدا بدون شك لتسميم الجو على الطاهر الحداد ، قبيل صدور كتابه « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » ؛ وقد كان هذا الكتاب تحت الطبع عندما نشر القصيدان ؛ وهاك نفثة من نظم الطاهر القصار :

هل إنهن إذا رفعن حجابا   يبلغن من نيل العلا أسبابا
كلا فهتك الستر شر مصيبة   يغدو بها صرح العفاف خرابا
حسبوا التمدن فى السفور وما دروا   أن السفور ينصر الأعرابا

ويسهل عليك تبين مدى القرابة بين قصيد أبى الحسن بن شعبان « الشباب والحجاب » وقصيد الشيخ الطاهر القصار • فأبو الحسن على مذهب الشيخ القصار المتصلب فى موقفه ضد السفور •

ويعبر حسين الجزيرى مناهض الطاهر الحداد عن حيرته فى بحثه عن الزوجة اللائقة به ؛ ويستعرض فى موشح بعنوان « الزواج » نماذج من النساء اللاتى يرفض البناء بواحدة منهن ، ويذكر ضمن تلك النماذج المرأة المتحررة من ربقة زوجها :

من ترى أرضى بتزويجى بها   خبرونى
بل متى أحظى بمن قلبى اشتهى   وعيونى
لا تظنوا منيتى أخت المها   والغصون

* * *

لست أرجو القرب من تلك التى   كالسعالى
تقصد (البازار) إذ فى غيبتى   لا تبالى
تلك ليست زوجتى بل شقوتى   واختبالى

وكذا لا ابتغى ذات الوشاح في سواد
من أراها كغراب في الصباح في انفراد
لست أنسى قولها وقت المزاح يا مرادي

* * *

وكذا أبغض تلك العابدات للضرايح
ملحدات زائغات سابحات في الفضايح
هكذا أبقى حليف الحسرات (ريقى شايح) (1)

لقد استقر اذن رأى ثلة من دعاة النهضة في تونس في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن ، سواء كانوا شعراء أو صحافيين أيقاظا ، على وجوب منح المرأة التونسية تعليما قوميا ومنزليا قبل كل شيء آخر لتسلم الأجيال ، من بعد ، من ذل التبعية وتنفض الأمة عنها غبار عصور الانحطاط ٠

وما كان في نية عديد منهم اذاك اطلاق العنان لها خارج البيت ورفع الحجاب عنها ، لاعتقادهم أن السفور محظور في الديانة (2) ؛ ولهذا السبب نادى جل أنصار المرأة بتعليمها مع المحافظة على الحجاب ٠ ولئن جرؤ أنصار السفور على رفع أصواتهم من حين لآخر بأن الحجاب عادة لا دين ، فانهم لم يجدوا آذانا صاغية قبل خروج امرأة تونسية سافرة ، وانتصابها محاضرة في جمع من الرجال لأول مرة سنة 1924 ٠

وهذا حدث تاريخي واجتماعي هام في تاريخ الحركة النسائية بتونس ، جدير بأن يقع التعريف به ٠٠٠

احمد خالد

(1) « الأدب التونسي ٠٠٠ » ج 1 ص 93 ٠
(2) أنظر مثلا :
أ - « الحاضرة » 10 سبتمبر 1889 « النساء والكتابة » ٠
ب - « لسان الشعب » 27 فيفرى 1924 « المرأة المسلمة والحجاب » الخ٠٠٠

* الحب لي *

شعر : عبد المجيد بنجدو

الحُبّ لِي وَصَبَابَةُ المُلْتَاعِ
صَوَّرْتُهُ نَغَمًا عَلَى إِيقَاعِي
قُزَحِيَّةَ العَيْنَيْنِ عَيْنُكَ مَوْجَةٌ
خَضْرَاءُ أَلْقَتْ فِي الضَّبَابِ شِرَاعِي
فَإِذَا أَنَا فِي عَالَمٍ مَجْهُولَةٍ
أَبْعَادُهُ فِي وَحْشَةٍ وَضَيَاعِ
وَإِذَا أَنَا فِي وَحْدَتِي نَسْيٌ وَفِي
دُنْيَايَ كَوْنُ عَوَاصِفٍ وَصِرَاعِ
وَقَعْتُ حُبَّكَ نَغْمَةً مَسْحُورَةً
وَرَسَمْتُهُ مُتَوَازِيَ الأَضْلاَعِ
وَسَكَبْتُ فِيهِ دَمْعَةً مُلْتَاعَةً
يَا مَنْ أَذَبْتِ حُشَاشَةَ المُلْتَاعِ
عَيْنَاكِ دُنْيَا لاَ تُحَدُّ وَعَالَمٌ
أَدْلَجْتُ فِيهِ مَسْرًا كَبِيرِي وَقِلاَعِي
فَإِذَا طَوَيْتُ بِهِ مَسَافَاتٍ فَلاَ
أَنَا بَالِغٌ إِلاَّ خُيُوطَ شُعَاعِ
مَا زِلْتُ أَسْعَى وَالطَّرِيقُ طَوِيلَةٌ
فِي دَرْبِهَا مَا كُنْتُ أَوَّلَ سَاعِ
وَلَسَوْفَ أُورِثُهَا الذِينَ تَدَبَّرُوا
كُنْهَ الظَّلاَمِ وَدَفْقَةَ الإِشْعَاعِ

قُزَحِيَّةَ العَيْنَيْنِ وَجْهُكَ مَعْبَدٌ
عَبَدَتْ جَمَالَكَ حَوْلَهُ أشْيَاعِي
مَنْ آمَنُوا أنَّ الغَرَامَ عِبَادَةٌ
وَالعَيْشَ بَيْنَ زُجَاجَةٍ وَسَمَاعِ
تَمْضِي الحَيَاةُ وَلَيْسَ تُدْرِكُ غَايَةً
لَوْلاَ المَحَبَّةُ مَا لِعُمْرِكِ دَاعِ
فَأنَا تَعَهَّدْتُ الغَرَامَ بِلَوْعَتِي
وَأطَلْتُ فِي دُنْيَا الجَمَالِ ضَيَاعِي
أنَا ضِعْتُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ أيَامِهَا
وَجَهِدْتُ أنْ ألْقَاكِ فِي أوْجَاعِي
ورَسَمْتُ مِنْكِ عَلَى جَحِيمِي مَوْقِدا
وَدَفَعْتُ فِي نِيرَانِهِ أتْبَاعِي
وَطَنْتُ نَفْسِي وَالنُّفُوسُ كَرِيمَةٌ
أنْ لاَ تُذِلَّ كَرَامَتِي أطْمَاعِي

عبد المجيد بنجدو

واقـع الأدب التـونسي

نشرنا في عددنا السابق استجوابا للأستاذ محمد مزالي نقلناه عن مجلة « افريقيا » الصادرة باللغة الفرنسية وننبه قراءنا الكرام أن الاستاذا **جعفر ماجد وعبد العزيز قاسم من أسرة مجلة « الفكر »** هما اللذان عربا المقال وكانت نشرته العمل في صفحة من صفحاتها الأدبية .

لمحة عن الحياة الفكرية في المجتمع القيرواني القديم *

بقلم : الدكتور الحبيب الجنحاني

وقعت الاشارة فى مناسبات متعددة لحد الآن الى اهمية القيروان الثقافية ، والى الدور الذى قامت به كعاصمة ثقافية للمغرب الاسلامى وصقلية قرونا طويلة ، كما اشير ايضا الى تاثير القيروان الثقافى اثناء الحديث عن علاقاتها الخارجية • وسنحاول هنا التعرض الى بعض المدارس الفكرية التى عرفتها القيروان ، والى نهضتها الثقافية بصفة عامة (مع التركيز على المذاهب الدينية) •

مرت الحياة الفكرية فى القيروان بمراحل مختلفة وشانها فى ذلك شان بقية المدن الاسلامية الكبرى ، وكانت فى مراحل تطورها متفاعلة مع النظم السياسية ، ومع الحياة الاقتصادية فى افريقية • كان التعليم والثقافة فى القرن الاول والنصف الاول من القرن الثانى الهجرى مقصورين على فئات قليلة من سكان القيروان، وكان موضوعهما محدودا ، وابتداء من اواخر القرن الثانى الى زحف الهلاليين عاشت القيروان ازدهارا ثقافيا(1) جعلها فى طليعة العواصم الاسلامية التى لعبت دورا فعالا فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وقد مر عالم الفكر القيروانى خلال هذه الفترة بازمات خطيرة كما بلغ اثناءها قمة التفتح والازدهار •

جعل بعد افريقية عن مركز الخلافة فى المدينة وبعد ذلك فى دمشق ، والمعارك الحامية الوطيس التى دارت رحاها على ارض المغرب فى سنوات الفتح ، والتى انتشر خبرها فى المشرق ، ثم انتشار مذهب الخوارج ، وما تسبب فيه من انتفاضات قامت بها القبائل البربرية ، جعلت هذه العوامل كلها الخلافة الاسلامية تهتم بافريقية اهتماما خاصا لم يقتصر على ارسال الجيوش ، والولاة الماهرين ، بل شمل ارسال الصحابة والتابعين لتعليم سكان افريقية مبادىء الدين الجديد ، وشجعوا على الاقامة فى الارض الجديدة، (2) ولهذا نجد عددا كبيرا من الصحابة والتابعين دخلوا المغرب واستقروا بالقيروان• ودخل منهم عدد كبير قصد الجهاد ، والمرابطة على شواطىء البحر الابيض المتوسط ، ولم تكن مهمتهم الاولى التعليم ولا شك ان تعليم مبادىء الاسلام بين

(*) هذه صفحات من البحث التاريخى الذى أحرز مع بحث الاستاذ محمد العروسى المطوى على جائزة القيروان •

قبائل كانت معتنقة لاديان مختلفة قبل الاسلام ليس بالامر السهل ، لهذا اختار الخليفة عمر بن عبدالعزيز عشرة من مشاهير التابعين الذين عرفوا بالعلم وحسن السيرة وارسلهم الى افريقية ليعلموا الناس الحلال والحرام(3)٠وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم اول المعلمين فى القيروان ، ولم يتجاوز ميدانهم بطبيعة الحال القرآن والسنة ، وربما اللغة العربية لغير العرب من المسلمين الجدد ٠ وعلى هذه الطبقة تخرجت الفئة الاولى من علماء الدين فى القيروان وفى المغرب كله امثال البهلول بن راشد، ورماح بن يزيد، وعبدالله بن فروخ،وابن غانم الرعيني ، واسد بن الفرات ٠ ومن بين علماء الدين الذين قدموا على افريقية وتخرج عليهم عدد من القيروانيين أبو معمر عباد بن عبدالصمد التميمي من اهل البصرة ، وهو ممن درس على انس بن مالك والحسن البصري (4) ٠ وسنرى كيف اثر هذا الرعيل الاول الذى كان يتالف من فقهاء ومحدثين وزهاد فى الحياة الفكرية تاثيرا عميقا على اختلاف العصور ، وطبع ثقافة القيروان بطابع خاص استطاعت ان تحافظ عليه ضد التيارات المضادة الاخرى ٠ ولا شك ان هذا الطابع الخاص لم يساعد بعض العلوم الاسلامية ، والمذاهب الفكرية ان تبلغ فى القيروان درجة التطور التى بلغتها فى بغداد ، وفى قرطبة ، او فى القاهرة ايام الفاطميين ٠

بعد ان تأسست الدولة الاغلبية ، وازدهرت الحياة الاقتصادية ــ نتيجة للاستقرار السياسي ــ دخلت الثقافة الاسلامية المغربية مرحلة جديدة ٠

ما هى اهم التطورات الفكرية التى مرت بها القيروان ايام الاغالبة ؟

تطورت اثناء حكم الاغالبة العلوم الدينية والعقلية بصفة خاصة ، وانتشر التعليم ، وكثر عدد الطلبة الافريقيين فى القيروان ، واتجه كثير من علماء القيروان للدراسة فى المدينة ، وبغداد ، والفسطاط (5)٠

ونشأ فى هذه الفترة المذهبان اللذان عرفتهما افريقية انذاك: المذهب المالكي، والمذهب الحنفي ، وبدأت بينهما اول معركة فكرية عاشها عالم الفكر القيرواني، وقد اتخذت هذه المعركة ــ فى اكثر الاحيان ــ شكل الجدل والمناقشات الحادة ولكنها عرفت ايضا استعمال العنف الذى ذهب ضحيته عدد من انصار المدرستين ٠

كان اسد بن الفرات هو اول من نشر المذهب المالكي فى القيروان ، معتمدا على موطأ الامام مالك كما رواه عنه ، وهو اول من وضع أسس المدرسة المالكية بكتابه الاسدية الذى لم يزل عدة الدارسين لمذهب مالك فى المغرب حتى الف الامام سحنون كتاب المدونة وفرضه على فقهاء افريقية ، ولا سيما فى القيروان٠ يبدو ان الرواية التى تشير الى ان اسد بن الفرات كان يقول بخلق القرآن

ليست صحيحة ، وقد نفاها تلميذه سحنون نفيا باتا (6) ، ولكن اجتماعه بزعماء المدرسة العراقية مثل ابى يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني بعد ان درس على الامام مالك جعله اقل تعصبا للمذهب المالكي من خليفته ومنافسه الامام سحنون ، ولكن بالرغم من تسامحه فانه كان لا يقبل المعارضة التى تمس بنفوذه بين انصار المدرسة المالكية ، فقد ذكر الخشني ان اسد بن الفرات حدث يوما ما في المسجد بحديث انكره عليه سليمان الفراء الذى كان حاضرا « فسمعه اسد فقام اليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله فضربه ضربا شديدا حتى ادماه » (7) • ولما عاد سحنون بن سعيد من المشرق بدأ التنافس بينه وبين معلمه اسد بن الفرات الذى تولى قضاء القيروان مع ابى محرز احد ممثلي المدرسة المعتزلية القيروانية في عهدها الاول • ولم يكن اسد رجلا نظريا فقط ، بل كان يحب المشاركة في الاحداث السياسية ، فقد رايناه يخرج مع زميله أبي محرز الطنبذى لمحاولة اقناعه بعدم دخول القيروان،وتناقش معه طويلا ثم رايناه يتولى قيادة الاسطول الاغلبي لفتح صقلية، وقد اعرض عن المشاركة في هذه الغزوة بقية علماء القيروان (قيل لوعد قطعوه على انفسهم) ، وبعد وفاة اسد بن الفرات اصبح الميدان فسيحا للامام سحنون الذى تزعم وحده المدرسة المالكية • كان الامام سحنون يتمتع بنفوذ كبير في المجتمع القيرواني ، وهو الذى ركز المذهب المالكي في شمال افريقيا منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا ، وكان حجته وزعيمه ليس في القيروان فقط بل في المغرب كله، وفي الاندلس • قال احد قادة المدرسة المالكية البارزين وتلميذ سحنون ابو عثمان سعيد بن الحداد في مناظرته مع ابى عبد الله الشيعي : « سمعت سحنون بن سعيد وهو امام المدينة بالمغرب يقول ••• » (8) ولما تولى سحنون القضاء استغل منصبه الجديد في القضاء على المذاهب الاخرى ، وأطرد من الجامع اصحاب المذهب الاباضي ، واهل الصفرية ، وتسبب للقاضي ابن ابى الجواد بقصة الاموال التى تلدد في دفعها فسجنه وجلده حتى توفى متأثرا بسياط سحنون، ويبدو ان السبب الحقيقي لهذه المعاملة القاسية هو ان ابن أبي الجواد كان من انصار المدرسة الكوفية (او العراقية) ، وكان يقول بخلق القرآن (9) • وقد اشتغل الامام سحنون بجانب منصب القضاء بالتعليم ، وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة المغاربة ، والاندلسيين • روى ان درسه ضم احيانا سبعمائة طالب •

تطورت بعد الامام سحنون المدرسة المالكية ، واصبح ممثلوها يهتمون بالعلوم العقلية ايضا ، وبفن الجدل ، وفي مقدمة هذه الطبقة نجد شخصية ابى عثمان بن الحداد الذى تزعم المرحلة الجديدة في تاريخ المدرسة المالكية المغربية (10) ، وقد تخرج عليه عدد كبير من علماء القيروان من بينهم ابراهيم بن محمد الضبي المعروف بأبن برذون ، وابو جعفر احمد التمار ، وعلى بن منصور الصفار ، وابن احد الشركاء • استعمل الامام سحنون نفوذه وشعبيته في نصرة المذهب المالكي على الاتجاهات الفكرية الاخرى ، اما

سعيد بن الحداد فقد سلك طريقة الجدل والاقناع ، وكان فى طريقته منهاجى التفكير ، قوى الحجة • ان ما بقى لنا من اثاره يدل على المدى الذى بلغته العلوم الجدلية فى القيروان ، وعلى تأثيرها فى اوساط المذهب المالكى • وأهم وثيقة وصلتنا عن المجادلات بين انصار المذاهب المختلفة فى القيروان هى مجالس المناظرة الاربعة التى دارت بين أبى عثمان سعيد بن الحداد وبين أبى عبد الله الشيعى (11) • تعكس لنا هذه المجالس اخلاص سعيد بن الحداد لمذهبه ، وجراته فى الدفاع عنه فى فترة نافق فيها اكثر فقهاء القيروان اصحاب النظام الجديد ، كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الفصل الثانى ، وتعكس لنا فى الوقت ذاته طريقة الاقناع والجدل التى سلكها زعماء المذهب الفاطمى فى نشر مذهبهم ، والتى لم يحافظوا عليها فى كل المواقف كما سنرى • ونريد الاشارة هنا الى مسالة تتصل بهذه المجالس • يخبرنا الخشنى ان النقاش جرى فيها بين سعيد بن الحداد وبين ابى العباس المخدوم اخى ابى عبد الله الداعى• ان مستوى المناقشة وجوها لا يتفق مع ما عرف به ابو العباس من التعصب لمذهبه • ذكر ابن عذارى (ج I ص 148) انه كان عجولا ، كثير الكلام ، ضعيف العقل فاراد ان ينفى من القيروان كل من يذهب من الفقهاء مذهب المدينة ، فلم يوافقه اخوه ابو عبد الله على ذلك ، واخبرنا ابن عذارى ايضا (ج 1 ص 153) ان ابا عبد الله غضب على اخيه ابى العباس حين قتل الفقيهين ابا العباس ابن برذون ، وابن هذيل اثناء غيابه عن رقادة (12) ، وارسل له يقول: «افسدت علينا من أمر البلد واهله ما كانت بنا حاجة الى صلاحه»•وفيما نقله ابن عذارى (ج I ص 294) عن كتاب « تعزية اهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الازمان » لابى عبد الله بن سعدون اشارة الى ان ابا عبد الله الشيعى هو الذى سأل سعيد بن الحداد • اننا نعتقد ان الخشنى وقع فى خطأ بسيط ، وان ابا عبد الله الشيعى هو الذى ناقش ابن الحداد• ان الحوار يدل على ان المناقش الفاطمى كان يملك ثقافة متينة هى اقرب الى شخصية ابى عبد الله منها الى شخصية اخيه ابى العباس • اما الامر الذى ليس فيه شك فهو ان سعيد بن الحداد قد قوبل من طرف الدعاة الجدد باحترام كبير ، واكسب المدرسة المالكية فى نظرهم تقديرا واحتراما ، وان لم يطل ذلك • ويؤيد هذا ما نقله لنا الخشنى فى ترجمة أبى بكر ابن القمودى حيث قال : لم يدخل له فى قلوب القوم من الاجلال والمهابة ما دخل لسعيد بن الحداد » •

ومن زعماء المدرسة المالكية المشهورين عبد الله بن غانم ، وعبد الله بن فروخ ، وابن رشيد ، ومحمد بن عبدوس ، وعبد الله بن طالب ، وعدد آخر ترجم لهم ابو العرب والخشنى فى كتاب الطبقات •

فى نفس الوقت الذى نشأت فيه المدرسة المالكية ، او مدرسة المدينة فى القيروان نشأت معها المدرسة الحنفية ، او مدرسة العراقيين وربما كانت اقوى ، واكثر انصارا فى اول الامر من المدرسة المالكية • ان المذهب الحنفى

دخل القيروان وانتشر فيها على يد أسد بن الفرات حسبما نستفيد ذلك من المقريزي ، وابن فرحون • ان هذا ليس مستبعدا فقد اشرنا الى دراسة اسد على تلامذة ابى حنيفة ، والى تسامحه كزعيم لمدرسة المدينة تجاه المدرسة المقابلة ، واذا ثبت ان اسد بن الفرات قد لعب دورا فى دخول المذهب الحنفى الى افريقية فيكون ذلك قد تم فى فترة لم يقرر أسد خلالها اتجاهه النهائى بعد •

اما اشهر اصحاب المدرسة العراقية الرسميين فهم : معمر بن منصور ، وسليمان بن عمران ، وعبد الله بن الاشج ، وابو عقال ابن الرعناء ، وابو العباس بن عبدون الذى تولى قضاء القيروان ، وهو من اصحاب المدرسة العراقية القليلينالذين تولوا قضاء القيروان • يبدو ان ابن عبدون اراد ان ينتقم من المدنيين بصورة اقسى واشد من ملاحقة سحنون للعراقيين ، فضرب جماعة منهم مثل احمد بن معتب ، والدمنى ، وابن عبدون العطار ، وغيرهم كثير ، وقد ادت نقمة سكان القيروان عليه ـ واكثرهم مدنيون ـ الى عزله • روى الخشنى (ص 187) ان ابراهيم بن احمد الاغلبى « كان يقول بعد عزله له لو ساعدته لجعلت له مقبرة على حدة » •

وبعد مضى اكثر من قرن على المعارك الجدلية بين المذهبين ، والتى غذت ـ ولا شك ـ الحركة الفكرية القيروانية آنذاك تمكنت المدرسة المالكية من الانتصار ، واصبحت لها الكلمة الاولى فى المغرب كله ، سيما فى آخر عهد الدولة الاغلبية • واشتدت المعركة بين انصارها وبين دعاة المذهب الفاطمى بعد ان استولوا على الحكم فى رقادة • اما انصار المدرسة الحنفية فقد اعتنق كثير منهم المذهب الجديد ، وبقى بعض الحنفيين بعد ذلك فى القيروان الى ان اعلن المعز بن باديس المذهب المالكى مذهبا رسميا فى افريقية تناصره الدولة، وبذلك وحد المذاهب المختلفة الامر الذى لم يحدث ايام الاغالبة •

اذا تتبع المرء تطور المدرستين منذ البداية الى دخول المذهب الفاطمى القيروان ، ومحاولة فرضه مرة بالمناظرة ، واخرى بالقوة يقف على الملاحظات التالية :

1 ـ ان انصار المدرسة المالكية كانوا منتشرين بين الطبقات الشعبية ، وقد لعبت شخصية الامام سحنون بصفة خاصة دورا هاما فى تعلق سكان القيروان بمذهب مالك ، كما كانت المدرسة تتمتع بشعبية كبيرة بين سكان القيروان المنحدرين من اصل بربرى ، ويبدو ان تهمة القبائل البربرية باعتناق المذاهب الخارجة عن مذاهب الاسلام المعترف بها مثل اعتناقهم لمذهب الخوارج والمذهب الفاطمى الذى نشأ وقوى امره فى المغرب تحت حماية كتامة جعل هذه الفئة من المسلمين البربر التى تركت حياة الجبال والثورات واستوطنت القيروان اكثر تعصبا للمذهب التقليدى ، مذهب مالك الذى ظهر فى المدينة حيث انتصر الاسلام • هذه ظاهرة هامة فى تاريخ انتشار الاسلام بين سكان شمال

افريقيا الاصليين ، ونعنى بذلك ظاهرة التطرف «الى اليمين» او «الى اليسار» لو يمكن لنا التعبير عن ذلك بلغة السياسة . وما زلنا نلاحظ لحد اليوم آثار هذه الظاهرة ، فالعائلات الاسلامية المنحدرة من اصل بربرى هى التى حافظت على مذهب الخوارج لحد اليوم فى كثير من مدن وقرى المغرب العربى ، وهى التى كانت ومآ زالت فى بعض المناطق اكثر تعصبا ، واشد تعلقا بالزوايا ، وقد راينا كيف استغل الاستعمار الفرنسى هذا التعصب الدينى ، وغذاه لمحاولة عزل عدد كبير من الجماهير الشعبية فى بعض بلدان المغرب العربى ، ولا سيما الفلاحين عن حركة التحرر الوطنى .

2 ـ اما المدرسة العراقية فقد كانت مدرسة النخبة ، اكثر انصارها من العائلات المتوسطة والتجار .

3 ـ فبالرغم من انتشار المذهب الحنفى فى القيروان فقد اشتهرت افريقية فى المشرق بالمذهب المالكى ، ولا شك ان السمعة التى كان يتمتع بها امثال : البهلول ابن راشد ، واسد بن الفرات ، والامام سحنون فى المشرق قد لعبت دورا فى ذلك . روى الخشنى (ص 214) فى ترجمته لابى ابراهيم بن النعمان « انه جمعه الطريق بالحجاز برجل بغدادى ، وكان اذ ذاك يرى راى مالك فقال البغدادى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا فقال له ابن النعمان فيما ذكر مالك لا يرى ذلك قال فقال لى البغدادى : شاهت وجوهكم يا أهل المغرب تعارضون قول النبى بقول مالك » .

4 ـ كانت المناقشات الدينية بين انصار المذاهب المختلفة تدور اسابيع طويلة حول مسالة واحدة مثل مجادلات الاحزاب السياسية اليوم التى تمتد اياما عديدة حول مشكلة ما . لما رجع عبد الله بن الاشج من العراق سأل : « ماذا الذى يتكلم فيه اهل القيروان اليوم فقيل له فى الاسماء والصفات فقال انما تركت الناس بالعراق يتوافقون فى مسألتين مسألة القدر ومسألة الوعد والوعيد » (13)

5 ـ كانت هذه الخلافات المذهبية تأخذ شكلا حادا ، ويحاول زعماؤها جمع الانصار والمؤيدين حولهم . كان أبو اسحاق العمشاء يذهب الى خلق القرآن ، ويناظر فيه المناظرة الشديدة « وله فى ذلك داعية وله ملة واصحاب واحزاب فى ذلك يجالسون ويختلفون اليه » (14) .

6 ـ ان انتشار مدارس فكرية اخرى فى القيروان عرف اصحابها بالجدل مثل مدرسة الخوارج (كانت ضعيفة) ، ومدرسة المعتزلة ، والمدرسة الشيعية قبل ان يستولى الفاطميون على الحكم ادى الى انتشار العلوم الفلسفية ، والاهتمام بفن الجدل والمناظرة داخل صفوف المدرستين الرئيسيتين: المدرسة

المالكية ، والمدرسة الحنفية ، وممن اشتهر بذلك من المالكية زعيم المدرسة بعد سحنون أبو عثمان سعيد بن الحداد كما وقعت الاشارة الى ذلك ٠

عرفت الحياة الثقافية فى القيروان خلال هذه الفترة مدارس فكرية اخرى غير المدرستين السابقتين ، وقد انتشرت فى عاصمة المغرب مع انتشارهما ، فنجد الى جانب انصار المذهب الشافعى الذين تزعمهم خلال فترة معينة عبد الملك بن محمد الضبى المعروف بابن برذون ، وانتشار مذهب سفيان الثورى فترة قصيرة ، فرقا اخرى يصنف المدنيون اصحابها « بالزيغ والضلال » ٠ كتب عبد الله بن فروخ الى مالك بن انس يخبره « ان بلدنا (يعنى افريقية) كثير البدع ، وانه الف لهم كلاما فى الرد عليهم » (15) ، ويمكن ان نستنتج من رد الامام مالك على رسالة تلميذه ابن فروخ اهمية هذه الفرق ، رغم قلة انصارها، وما سببته من مشاكل للمدرسة المالكية فى القيروان ، وقد وقعت الاشارة سلفا الى مقاومة الامام سحنون لاصحاب هذه المدارس ، والتضييق عليهم ، معتمدا فى ذلك على شعبيته، ونفوذه بعد ان تولى قضاء القيروان ٠ وكانت مدرسة المعتزلة اهم هذه المدارس ، وكانت مسالة خلق القرآن موضوع الساعة الذى اشتغل به انصارها ، وقد تولى قيادة هذا الاتجاه الفكرى المتحرر عدد من علماء القيروان المشهورين امثال ابن ابى جواد ، وابى اسحق العمشاء ، وابن ظفر ، ومحمد الكلاعى الذى رد على سعيد بن الحداد فى احد مولفاته والمسحى ، وابن ابى روح ، وابن شهر ، ومن اشهرهم القاضى ابو محرز الذى ولاه زيادة الله الاول القضاء ، وحماه من اعدائه ، وكان ابو محرز يتظاهر بمذهب الاعتزال ، فبالرغم من استقامته ، وعدله ، ومساعدته للضعفاء فلم يكن محبوبا بين اكثرية السكان ، لانه كان معتزليا ٠ وتجدر الاشارة هنا الى ان قادة حركة المعتزلة فى القيروان كانوا يمثلون نخبة من طبقة الارستقراطية الفكرية منحدرة فى اكثر الاحيان من الاسر التجارية التى استوطنت القيروان ، وقد عرف اصحاب هذه المدرسة بالجراة والذكاء ٠

يتبادر الى الذهن هنا السؤال التالى : كيف كان موقف امراء بنى الاغلب تجاه هذه المذاهب المختلفة ؟

امتاز نظام الدولة الاغلبية عن النظم السياسية الاخرى التى عرفتها القيروان فى القرون الوسطى بترك الحرية لجميع المدارس الفكرية ، فلم يحاول بنو الاغلب القضاء على اى مذهب بالقوة ، وان اظهر كثير منهم العطف على المدرسة المالكية ، ولا شك ان هذا العطف كان مرتبطا كل الارتباط بشعبية هذه المدرسة وبالدور الهام الذى كان يقوم به العلماء فى الحياة العامة،وفى ربط الدولة بالشعب ، وقد كانت المدارس الفكرية المختلفة انذاك عبارة عن احزاب سياسية ٠ ونجد بين الامراء الاغالبة من كان يعطف على المدرسة العراقية ، وعلى مذهب الاعتزال مثل زيادة الله الاول ، وعبد الله الثانى ، وأبو جعفر احمد ٠ اما الامير محمد بن احمد فقد ناصر المدرسة المالكية ، فعزل ابن ابى الجواد ، وولى سحنون القضاء ، كما سمح له بتعذيب ابن ابى الجواد٠ ورغم هذا

العطف الذى ابداه بنو الاغلب على هذه المدرسة او تلك فقد تركوا الحرية لمختلف المذاهب ، وادى ذلك الى تطور الحركة الفكرية تطورا كبيرا ، هذا ولم يقتصر هذا التطور على ميدان العلوم الدينية والعقلية ، فقد شمل ايضا الادب والموسيقى والغناء ، وفى ايام الاغالبة تطورت الهندسة المعمارية ، والفنون الظريفة ، كما نشأت مدرسة القيروان الطبية ، وكان من زعمائها ايام الاغالبة زياد بن خلفون مولى بنى الاغلب الذى اصبح بعد ذلك من انصار عبيد الله المهدى (16) ، واسحق بن عمران ، واسحق بن سليمان الذى كان طبيبا خاصا لزيادة الله الثالث ، ثم اشتغل بعد ذلك فى قصر عبيد الله ، وعليه تخرج ابن الجزار • يبدو انه كان بالقيروان ايام الاغالبة عدد كبير من الاطباء لان ابن عذارى (ج 1 ص 187) يخبرنا فى حوادث سنة 307 هـ ، وبعد زوال دولتهم باحد عشرة سنة انه مات جماعة من الاطباء فى هذه السنة •

* * *

وضع انتصار المذهب الفاطمى ، ودخول جيوش ابى عبد الله الشيعى لمدينة رقادة حدا للحرية الفكرية فى القيروان ، وقضى الحكام الجدد على المذاهب الاخرى ، وكانت المعركة بين المذهب الجديد وبين المدرسة المالكية اشد معركة ، واعنفها مر بها تاريخ القيروان الفكرى (17) ، معركة دامت اكثر من قرن ونصف ، وعرفت العمل السرى والشهداء ، والكتابة المعادية لرجال المذهب الجديد على جدران المساجد ، كما حدث ذلك للقاضى المروزى (18) •

لاول مرة يحكم المغرب نظام سياسى يعتمد على « ايديولوجية » معينة لها اهدافها المضبوطة ، ودعاتها المهرة ، « ايديولوجية » نشأت وتطورت داخل خلية سرية من الانصار والدعاة امتدت من البحرين الى قرى قبيلة كتامة فى المغرب الاوسط • حاول أصحاب المذهب الجديد نشره بالحجة والاقناع ، ولكنهم لم ينجحوا فى المحافظة على هذه الخطة الديموقراطية الذكية ، فسجنوا وقتلوا كثيرا من معارضيهم كما اشرنا الى ذلك • ونلاحظ هنا ان الزعيم الفاطمى الوحيد الذى اراد كسب الانصار من المثقفين عن طريق الجدل والنقاش هو ابو عبد الله الشيعى ، ولما قتل واصبح الامر بيد اصحابه الذين كانوا اداريين بيروقراطيين اكثر منهم اصحاب مذهب وثقافة سياسية تغلبت لغة القوة على لغة الاقناع والحجة ، واصبح المذهب الفاطمى بعد ذلك هو المذهب الرسمى المنتصر ، وحصرت الوظائف الدينية ، ووظائف الدولة بين اصحاب المذهب الجديد ، فاول عمل قام به ابو عبد الله الشيعى ، لما دخل القيروان ، هو تسمية الشيخ محمد بن عمر المروزى فى منصب قضاء القيروان ، هو من انصار المذهب الشيعى القليلين الذين كانوا فى القيروان قبل انتصار ابى عبد الله ، ومنع الافتاء بقول مالك ، ولما افتى بـه محمد بن العباس الهذلى ضرب وعذب سنة 311 هـ (19) •

ان القضاء على الحرية الفكرية ، وعلى الاتجاهات المختلفة ايام الفاطميين لم يكن قضاء على الحياة الفكرية فى القيروان ، بل تطورت الثقافة فيها بعد ذلك،

ونشطت حركة التاليف والبحوث العلمية ، ففى خلال هذه الفترة اشتهرت مؤلفات اسحق بن سليمان ، واحمد بن الجزار ، وظهرت شخصية مغربية مشهورة فى حياة المغرب الاسلامى الفكرية ، ، ونعنى بذلك شخصية القاضى ابى حنيفة النعمان الذى يعد من اشهر مفكرى المذهب الفاطمى ، وازدهر الادب ايضا ، وتزعم نهضة الشعر فى المنصورية شاعر المغرب المشهور ابن هانىء ٠ اذن فقد استمر النشاط الثقافى ، ولكنه اكتسب طابعاً جديدا ، وتميز بميزات خاصة، فاصبح نشاطاً موجها له اهداف مضبوطة، منصهرا داخل نظرية معينة٠

لاول مرة يعرف النشاط الفكرى فى القيروان مجالس التعليم السرية لنشر مبادىء المذهب الجديد ، والتى كان يشرف عليها مفكرون يتمتعون بثقافة عميقة ، وفى مجالس هؤلاء الدعاة كانت توضع خطة العمل السرى الذى قام به انصار المذهب فى الاندلس ، وعليهم تخرجوا ٠ ولا شك ان القيروان قد ساهمت مساهمة كبيرة فى تطور النظرية الفاطمية ، ولا يسمح المجال هنا لبحث هذه المسالة الهامة فى تاريخ المدينة الثقافى ٠

* * *

استمر النشاط الثقافى فى القيروان فى اول العهد الصنهاجى على الشكل الذى تركه عليه الفاطميون ، ولكن بعد ن قطع المعز بن باديس جميع العلاقات مع القاهرة مرت القيروان بفترة تعصب دينى خطيرة ذهب ضحيتها آلاف الضحايا من انصار المذهب الشيعى (20) ، وقد اقامت تلك الحوادث الدامية، التى قامت بها الجماهير ، الدليل اولا على ان المدرسة المالكية لم تمت،وما زالت قوية رغم الضغط الذى سلطه الفاطميون على انصارها ، وثانيا على تعلق السكان بالمذهب المالكى الذى أعلن المذهب الرسمى بعد ذلك ليبقى لحد اليوم اكثر المذاهب انصارا ، واوسعها انتشارا بين الطبقات الشعبية فى شمال افريقيا التى حمته منذ البداية ٠

وتطورت فى عهد المعز بن باديس الحركة الادبية تطورا كبيرا ، لما شهر به من تشجيع اهل الادب والعلم ٠ قال ياقوت : « وكانت القيروان فى عهده وجهة العلماء والادباء تشد اليها الرحال من كل فج لما يرونه من اقبال المعز على اهل العلم والادب ، وعنايته بهم » (21) ٠ وفى ايام المعز اشتهر كبار شعراء القيروان مثل ابن شرف ، وابن رشيق وابراهيم الحصرى ، وابن خالته الحصرى الضرير ٠

وبعد نكبة القيروان لم تبق اية حركة فكرية تذكر فى القيروان٠قال العبدلى فى رحلته ـ بعد ان زار القيروان فى القرن السابع الهجرى ـ : « لما دخلت القيروان بذلت وسعى فى البحث عمن فيها من اهل العلم فلم اجد فيها من يعتبر سوى هذا الفقيه المحدث الراوية المعروف بالدباغ » ٠

1) عد الامام مالك مدينة القيروان ـ مع الكوفة والمدينة ـ احدى المدن الثلاث فى دراسة العلوم الاسلامية · راجع : معالم الايمان ، ج 2 ص 38 ·
2) راجع : طبقات علماء افريقية لابى العـرب ، ط باريس 1915 ، ص 11 وما بعدها ·
3) راجع : البيان المغرب ، ط ليدن 1849 ـ 1958 ، ج 1 ص 34 ·
4) راجع : طبقات علماء افريقية ، ص 26 ·
5) نفس المصدر ، ص 223 ·
6) نفس المصدر ، ص 82 ·
7) نفس المصدر ·
8) نفس المصدر ، ص 201 ·
9) ومما ذكر عن سحنون فى استعمال نفوذه للضغط على المخالفين لمذهبه هو تسميته لسليمان بن عمران قضـاء باجـة بعد ان امتحنه فى مـذهبه «فاظهر له سليمان ان مذهبه مذهب المدنيين وانه تارك لمذهب العراقيين» راجع الخشنى ص 180 ·
10) راجع ترجمته فى طبقات علماء افريقية للخشنى صفحة 148 وما بعدها ، وصفحة 198 وما بعدها ·
11) راجع نص هذه المجالس فى المصدر السابق صفحة 199 وما بعدها ·
12) ينسب ابو عبد الله محمد بن سعدون بن على ـ فيما نقله عنه ابن عذارى (ج 1 ص 293) ـ الامر بقتلهما الى عبد الله المهدى · ولكننا نرجح رواية ابن عذارى ، التى تؤيدها رواية الخشنى · راجع طبقات علماء افريقيـة ص 215 وما يليها ·
13) راجع : طبقات علماء افريقية للخشنى صفحة 220 ·
14) نفس المصدر ، ص 221 ·
15) نفس المصدر ، ص 36 ·
16) قتله ابو سعيد موسى بن احمد ايام عبيد الله · راجع : البيان المغرب ، ج 1 ص 187 ·
17) يخبرنا ابن عذارى ان مذهب العراقيين كان جائزا عند الشيعة « لما فيه من الترخيص » · راجع : البيان المغرب ، ج 1 ص 153 · والملاحظ ان المصادر لم تتحدث عن معارك بين الفاطميين وانصار المدرسة العـراقية ذهب ضحيتها عدد منهم كما حدث مع المدنيين ، وقد وقعت الاشارة سلفا الى اعتناق كثير من انصار المدرسة العراقية المذهب الجديد·
18) انظر : البيان المغرب ، ج 1 ص 149 ·
19) نفس المصدر صفحة 193 ·
20) راجع اخبار هذه الحوادث فى « البيان المغرب » ، ج1 ص 279 ، 285 ·
21) معجم الادباء ، ج 7 ص 96 ·

الى الشاعر

شعر : منور صمادح

تليت في حفل تكريم الشاعر مصطفى خريف بمناسبة صدور ديوانه (شوق وذوق) وبمناسبة توسيمه

ذكريات الواحة الفيحاء في العهد الجميل
بين منساب وصداح وأغصان تميل
ونسيمات تعطرن بأنفاس النخيل
وحملن الحب للشاعر في ذاك الأصيل

خمرة أعذب من خمر الدوالي
غفوة أيقظ من سهد الليالي

نسج الضوء ثيابا من خيوط الذهب
فاكتسى الظل وهام العطر بين القضب
وسرى الجدول حفته لطاف العشب
ألهم الطير وعلمها فنون الطرب

واهزجن ما شئت في بنت الدوالي
وتغزل وترنم بالليالي

كبرت نفسك لم تحفل بمال أو بجاه
وترفعت عن الدنيا واعراض الحياه
غربة يؤنسها الفكر وصمت وصلاه
وهجود في محاريب ثوى فيها الاله

أيها الراهب يا صحو الليالي
يا ضياء الفجر يا خمر الدوالي

كنت قبل اليوم لا أعرف للأشواق طعما
كنت لا أفهم شيئا من حياتي كنت وهما

وزمـانى كـان عـريـان وكـان الحظ أعمـى
كيـف أدركـت أمـانى فأوسعتـك فهمـا ؟

أتـرى ذلك مـن خمـر الـدوالى ؟
أم هو الصبر على سهـد الليـالى ؟

هـذه الأنجـم يـا صـاح نجـوم آفلـه
عـالـم يحيـا عـلى الـوهـم ودنيـا زائلـه
قـم نهدهـد حلمنـا قبـل ارتحـال القافلـه
أتـرع الكاسات يا شاعـر واسـق السابلـه

من ضياء الفجر من خمر الـدوالى
من عيـون ألفت سهـد الليـالى

دونـك القيثـار والنشـوة واللحـن العجيب
فقلوب النـاس جـرحى ألفت صـوت النحيب
وجنـاحـاك يـرفـان عـلى الأفـق الخضيـب
وبنـو الأيـام مـا بيـن مـريـب وصليـب

وحضيـض عقمـت فيـه الـدوالى
وكهـوف رقـدت فيهـا الليـالى

لحنـك الملهـم للنـاس دواء وشفـاء
وأغـانيـك لـقـاء بيـن أرض وسمـاء
واحتضـان للأمـانى وابتهـال ورجـاء
وعـزاء لـألى قـد ثكلـوا روح العـزاء

عطشـوا ما بين هـاتيك الـدوالى
ثم تاهوا تحت أسجـاف الليـالى

منـور صمـادح

الادب التونسي في مستهل العصر الحديث
(طيلة القرن التاسع عشر)

بقلم : محمد الهادى العامرى

بالرغم عما اعترى هذا الادب من الخمول والاسفاف الذى غمر الادب العربى بصفة عامة فقد تمخض القرن الثالث عشر من الهجرة عن ادباء بارزين وكتاب بتونس مقتدرين وسنحاول فى هذا البحث ان نتحدث عن مشاهير اولئك الرجال وعن الاتجاه الادبى • واعنى بالادباء البارزين الذين تركوا وراءهم آثارا قيمة نشرت ذكرهم واذاعت صيتهم بين الادباء الذين تهافتوا عليها وحرصوا على نسخها والاحتفاظ بها الى ان وصلت الينا • ومن اشهر اولئك الرجال الوزير ابو محمد حمودة بن عبد العزيز والاديب محمد سعاده والكاتب الشاعر محمد الباجى المسعودى وبيرم الخامس واحمد بن أبى الضياف المؤرخ التونسى وما اليهم من الادباء الذين لم تنشر آثار الكثير منهم ولم يعرف الناس عنهم شيئا ولجمع آثارهم واستقصاء اخبارهم ينبغى تكريس اوقات نفيسة للبحث والتنقيب والدراسة والجمع •

اما الاتجاه الادبى بتونس فى هذا العهد الذى ندرسه فقد كان يهدف للمديح والاطراء أكثر من اى شيء آخر شان الكائن الذى انبعث للحياة من جديد فلا يستقل بنفسه ويكون فى حاجة ملحة الى من يحدب عليه ويحنو لينمو ويترعرع ويبلغ الاشد فى مأمن من الغوائل والافات وتلكم هى سنة الحياة فى الكائنات لا تتخلف ولا تتبدل • واعتبر ذلك ولاحظه فى كتاب (قرة العين بنشر فضائل الملك حسين الممجد ونجله الامير سيدى محمد) وهو وثيقة ادبية ولا يزال مخطوطا حبره الاديب محمد سعادة من ادباء دولة حسين بن على مؤسس عرش البايات سلك فيه مسلك التقريض والثناء والتنويه بمحاسن مؤسس الدولة واطلق لقلمه العنان فى النثر والشعر على الطريقة التقليدية العتيقة • وجاء بعده الاديب البارع أبو محمد حمودة ابن عبد العزيز وزير على باشا باى الحسينى الاول فكتب كتابه (الباشى) الذى لا يزال مخطوطا الى اليوم فابدع فى المديح وجرى على ذلك الغرار فى تاريخه الباشى وغيره • وقد نقد طريقته صاحب الاتحاف نقدا لاذعا فقال كاد اى أبو محمد حمودة بن عبد العزيز ان يلتحق بالمداحين من الشعراء ومجته العقول لذلك على بلاغته وجميل نسقه وبديع نسجه الخ • وهذا النقد فى الواقع غير نزيه لان الاديب ابن عبد العزيز التونسى وان بالغ فى مدح مخدومه الا انه

خدم الادب التونسي أجل خدمة وسجل طرائف للادب العربي وأرخ الادب التونسي تاريخا لا يستهان به بحيث لو طبع ذلك الاثر النفيس لافاد الباحثين أعظم الفوائد والناقد نفسه يعترف ببلاغة ذلك الادب وبما وصل اليه من السمو فى التحبير والزخرفة والتنميق وانما انتقد الاتجاه الادبى وهو غير مصيب فى ذلك لان الاتجاه الادبى كان كما لاحظنا يهدف الى المديح خاصة . والادب لم يصل أنذاك الى درجة الانفصال عن الممدوحين بالشعور بالاستقلال ولا يزال فى حاجة الى العطف والعناية .

ومن الغريب ان البايات او الملوك الحسينيين لم يحركوا ساكنا فى نشر تلكم الآثار الادبية التونسية التى نوه الكثير منها باسلافهم لان القوم اميون وانى لهم ان يعنوا بالعربية وادابها ولذلك لم يفكروا قط فى تشجيع منتج او الاخذ بيد أديب البتة لجهلهم وغباوتهم خلفا عن سلف ولاهم لهم الا الجلوس على العروش والعناية بالظروف الفارغة .

ثم جاء الاديب الممتاز محمد الباجي المسعودى فالف فى القرن الثالث عشر كتاب الخلاصة النقية وهو أول اديب تونسي حاول ما استطاع ان يؤرخ مع اقتصاد فى المديح والاقتصار على ما لا بد منه فى ميادين التقريض والاطراء فسجل الاحداث باختصار واقتصاد وتناول تاريخ الامور فى حيطة مع المحافظة نوعا ما على روح الاتجاه الادبى الغامر للقرن الثالث عشر والتاسع عشر وقد نال اعجاب صاحب الاتحاف فقال فيه ما نصه . فجاء صاحبنا الكاتب البارع أبو عبد الله محمد الباجي المسعودى وجمع فى هذا الشان عقدا نفيسا سماه الخلاصة النقية فى أمراء افريقية وانتهى عند دولة فخر البيت الطائر الصيت المشير الباشا أبى العباس أحمد باى ذكر فيه كل واحد ومشهور آثاره وما ينشر من اخباره على أسلوب معجب مصوغ من البلاغة صوغ الابريز .

وقال صاحب الاتحاف عن الباجي كلمة أخرى ومؤداها أنه شهاب الاداب ان أطنب أعجب وان أوجز أعجز . ثم جاء دور الوزير الاديب المؤرخ احمد بن ابى الضياف وكتب تاريخه الذى طبع أخيرا فى عهد الاستقلال كتبه فى آخر عمره كما صرح بذلك فى تاريخه حيث قال فحركتنى رياح الوطن الى الاطناب ربما استحسن فى مثل هذا الباب مع أنى لست من اولئك الرجال ولا من فرسان هذا المجال لا سيما والشبيبة ولت والقريحة كلت والقوى ألقت ما فيها وتخلت .

وفى النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة المدرسة الخلدونية ما يدعم هذا ويزيده وضوحا فقد نقل الناسخ فى آخرها ومنها نسخت نسختين ان الهرم منعه عن مواصلة تسجيل الاحداث والظاهر ان مؤلف ذلك التاريخ الذى أطلق فيه العنان لقلمه فى خفية انذاك بعثه على كتابة التاريخ فى آخر عمره انه كان موتورا لان الصادق باى أحاله على المعاش وقدم عوضه الوزير الأديب المرحوم العزيز بو عتور فانتهز الفرصة وخلا بنفسه فى منزله وأخذ يحبر ذلك التاريخ

الذى يشعرك باستقلال الادب واتجاهه اتجاها جديدا يشمل التحبيذ والنقد والنصيحة التى تجرى على قلم الكاتب تحت تأثير وجدانه وهذا التاريخ الذى طبع بتونس حديثا وان لم يخل من هفوات فانه خدم التاريخ التونسى والأدب أجل خدمة وسجل من الاحداث ما لولاه لتلاشت واضمحلت ٠

أما الأساليب والمادة التى جرى عليها الأدباء وأعنى بالأسلوب الطريقة الأدبية التى جرى عليها كبار كتاب العربية كالجاحظ وسهل بن هارون وابن المقفع وما اليهم من كبار الأدباء وأفذاذ الشعراء وأعنى بالمادة الثروة الفياضة الزاخرة والتى لا ينضب لها معين من النثر والشعر ٠

وما على الأديب الا أن يستمد منها الغذاء لقلمه حسب الخطة التى يرسمها والاسلوب الذى يرتضيه والتصميم الذى ينطلق منه لتحقيق أهدافه فى أسلوب عربى متين لا اثر للعجمة فيه ٠ فقد كان الأديب التونسى الشهير بيرم الخامس صاحب صفوة الاعتبار يرى أن الأدب استعجم وتذبذب بتونس الا بالمغرب الأقصى فانه حافظ على الأسلوب العربى المتين قال بيرم ٠ فى اثناء الحديث عن المغرب ما يلى : واما الوزير فينتخبه السلطان ولا يكون الا عالما ذا وجاهة من الأهالى وهو صاحب القلم على الطريقة القديمة فى دول العرب أن يكون الوزير هو وزير الانشاء ولذلك يجب أن يكون ماهرا فى فنون الأدب مع مشاركة حسنة فى غيرها ولعمرى أن صناعة الانشاء فى الدول باللغة العربية كادت الآن أن تكون مقصورة على دولة مراكش وأما غيرها من الدول العربية فقد تذبذبوا وكادت كتابتهم أن تخرج عن الأسلوب العربى بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية بخلاف كتاب المغرب وهذا ديدنهم من قديم ثم أورد بيرم الخامس التونسى الطريقة التالية كدليل على صحة نظريته فى الأدب العربى بغير مراكش ويعنى تونس وغيرها فقال : ومما يحسن ذكره هنا أن حمودة باشا رحمه الله الرجل الشهير من أمراء العائلة الحسينية بتونس المتولى فى أوائل هذا القرن (يعنى القرن الثالث عشر من الهجرة) كان وقع أثناء ولايته قحط شديد اضطر بسببه لطلب الميرة والحبوب من سلطة المغرب لأن أرضها كانت خصبة فى ذلك العام ٠ ولم تكن المواصلة فى أروبا وغيرها من الأقطار سهلة فى ذلك الوقت وكان من عادة سلطنة المغرب أن تمنع خروج الحبوب من مملكتها فأرسل حمودة باشا العالم المقدس سيدى ابراهيم الرياحى لطلب ذلك المهم ووجه معه مكتوبا كان من جملة عباراته ٠

تبق تاذن بخروج القمح الخ فقوله تبق عبارة بربرية اعتادها (كتاب) التونسيين فى الأوامر الرسمية ٠ ولما قرئ ذلك الكتاب تعجب وزير القلم بدولة المغرب من تلك العبارة واشتد حنقه منها كيف يخاطب السلطان بها ولولا تبحر سيدى ابراهيم فى العلوم لخاب المسعى فقال لهم : انها عبارة عربية وهى جملة دعائية فى صورة ايذانا بتحقيق الاجابة ببقاء السلطان وما بعدها جملة حالية ايذانا بأن بقاءه مشمولا بعلو الكعب الذى تحتاج

اليه المسلمون من الأقطار وهو دائم الاذن بما ينفعهم ثم قال لهم وعلى فرض لحن العبارة • هل يسوغ لسلطان من المسلمين أن لا يرحم عصابة اسلامية ويتركهم يهلكون جوعا لسوء عبارة من جهل الكاتب • وقرائن الاحوال حافة بحسن المقصد على أنها لها محل وجيه الخ فنجح سعيه رحمه الله اه قلت ويبرهن عن صحة هذه الدعوى نصوص الأوامر الرسمية التى كانت تصدر عن الأمير حمودة باشا الحسيني والتى لا تزال نصوصها موجودة الى الآن عند بعض البيوتات بتونس فقد كادت تلتحق بالعامية مما يعرب عن انحطاط الأدب وفسولته وانهياره فى ذلك العهد الذى أخذ الناشؤون فيه من الأدباء بتونس يبحثون عن مادة دسمة للاستمداد منها فلم يظفروا بها الا فى كتائب لسان الدين بن الخطيب وزيد بنى الأحمر بالأندلس المعاصر لابن خلدون فاعرضوا عن الأسلوب المرسل السهل وتعلقوا بالأسلوب السجعى المأثور عن ابن الخطيب • ومن أتيح له من الأدباء التونسيين ان يملك الكتيبة الكامنة أو التاج المحلى أو الاكليل أو غيره من تأليف ابن الخطيب فكانما أحرز خزانة الأدب العربى • ومن النادر الغريب أن يملك الأديب نفح الطيب فقد قيل ان نسخة منه كان يملكها المؤرخ احمد بن أبى الضياف صاحب إتحاف أهل الزمان •

ومن هنا كانت الأساليب الانشائية باللسان العربى متأثرة لأبعد حد بأساليب ابن الخطيب نسخا ومسخا وتقليدا • والأديب المبرز انذاك هو الذى يقتدر على مسايرة ذلك الأسلوب • فكان الأدب التونسى عالة على الأدب الأندلسى القديم فترة طويلة من الدهر يحتذيه الكتاب بتونس ويجهدون أنفسهم فى النسج على منواله ويتبارى الشعراء فى مضماره ويستمدون منه طريقتهم تقليدا أو مجاراة أو معارضة وانك لتشعر فيما بعد بهذه الروح روح الأدب الأندلسى السجعى أو الشعرى المنثور أو المنظوم فى أدب رجالنا وكتابنا فى منتصف القرن الثانى من القرن الثالث عشر والتاسع عشر وعلى سبيل المثال نذكر النص التالى الذى كتبه أديب تونسى عن لسان بعض الأمراء **قال :** فان هذ الامر الذى قلدنا الله منه ما قلده وأسنده الينا من أمور خلقه بهذا القطر فيما اسنده الزمنا فيه حقوقا واجبه وفروضا لازمة راتبة لا تستطاع الا باعانته التى عليها الاعتماد ولولاها فمن يقوم بحق الله وحق العباد فمحضنا النصيحة لله فى عباده وأرضه وبلاده والامل ان لا نبقى فيهم بحول الله ظلما ولا هضما ولا نحرم لهم فى اقامة حقوقهم نظما وأنى ينصرف عن هذا القصد بعمله وبنيته من يعلم ان الله لا يظلم مثقال ذرة ولا يحب الظالمين فى بريته فقد قال لنبيه المعصوم الاواب : يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب الخ اه• الا ترى ان هذا الاسلوب جار على الاساليب الاندلسية بل ما هو الا صدى للادب الاندلسى وظلا لادواحه اليانعة العتيقة فى عهوده الغابرة

التى تجاوزها الزمن واسبلت عليها ذيل النسيان التطورات الادبية ومن يطالع التاريخ الباشى الذى حبره الاديب الشهير والمؤرخ حمودة بن عبد العزيز التونسى يجد به طائفة لا يستهان بها من أدبنا الذى ينحو به الادباء التونسيون منحى الادب الاندلسى روحا وقالبا وأسلوبا • فالشاعر التونسى عندما شعر بعد الغيبوبة أخذ هو بدوره يتغنى بمناظر العاصمة تونس وبمرساها وأبى سعيدها وشواطئها الساحرة وجمالها الفتان اقتداء بالشاعر الاندلسى الذى استهام بمنتزهات قرطبة وقال فيها قصيده المشهور

يــا هبــة باكــرت من نحــو دارين
وافــت الى على بعــد تحيتــى

وأطال النفس فيها كما أطال الشاعر أو الاديب التونسى النفس فى منتزهات تونس ولولا ضيق المجال لاتينا بالنصين هنا ولكننا نحيل القارىء على الجزء الثانى من نفح الطيب فى الباب الرابع الذى ذكر فيه قرطبة وكتاب الشيخ النيفر التونسى المتضمن ترجمة كل عالم وأديب نشأ بافريقية •

وقديما كان التونسيون مولعين بالادب الاندلسى وتقليده ومعارضته ومنافسته احيانا كما فعلوا عند قدوم ابن الابار على عهد أبى زكرياء الحفصى أحد أركان الدولة الحفصية بتونس فلم يكد ينشد ابن الابار قصيده الفاتن الرائع المؤثر الذى استغاث فيه بابى زكرياء ومطلعه :

ادرك بخيلك ارض اللــه أندلسا
فــان السبيل الى منجاتهــا درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

حتى انبرى الادباء بتونس لمجاراته ومنافسته والنسج على منواله •

قال المقرى فى النفح (وعارضه أى ابن الابار جم من الشعراء) اى - بتونس - ما بين مخطىء ومحروم وأغرى اى الامير أبى زكرياء الحفصى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم هذا ونلاحظ فى اثناء القرن التاسع عشر -م- والنصف الثانى من القرن الثالث عشر هـ• ظهور طور جديد للادب التونسى الحديث يحمل انتاجا مفيدا وابتكارا طريفا وتفكيرا جديا جديدافى دعوة حازمة الى اصلاح عميق شامل وتقدما ملموسا فى سير الدراسات العليا العلمية منها والادبية ولم يتمالك رجل ذلك العهد وأديبه الشيخ بيرم الخامس عن الاعجاب والمفاخرة بما وصل اليه أدبنا فكتب أثناء رحلته الى اوروبا مقارنا بين أدبائنا وأدبائهم فى ايجاز عند حديثه عن المجمع اللغوى الفرنسى ما نصه قال: والحاصل ان خطتهم الان (يعنى الفرنسيين) شبه خطب أسلافنا العرب فى

الصورة وتشبه الدروس المتقنة فى ادائها من علمائنا الفحول مثلما ادركت من دروس شيخنا العلامة محمد النيفر الاكبر قدس الله روحه اذ يستطيع الكاتب ان ينقلها من تقريره لفظيا وتصيير تاليفا جيدا الخ هـ.

ولم يقف الادب التونسي عند هذا الحد فى التطور بل تناول لاول مرةمعالجة المواضيع العامة الهامة فاتجه الى التحدث عن الحضارة الحديثة واكتشافاتها وشرح بعض مزاياها وتكهن بما لها من تقدم باهر وتغنى بجمالها وفتنه جلالها وعظمتها فوصف الاتها الاولى ومعداتها وطلائع مخترعاتها وفى صفوة الاعتبار الآتي الحديث عليها الكثير من ذلك وقد تحدث عن ذلك المؤرخ الاديب احمد بن أبى الضياف فى رحلتـه مع المشير الاول احمـد باى الى باريس : ووصف ذلك الاديب التونسي وصفا شعريا رائعا بليغا مؤثرا فقال :

باريس وما أدراك ما باريس

هى الغانية الحسناء الباسم ثغرها فى وجوه القـادمين مشحونـة بأعاجيب الدنيا جامعة لاشتات المحاسن ينطق لسان عمرانها الزاخر بقوله كم ترك الاول للآخر ما شئت من علوم وصنائع وثروة وسياسة وظرف وحضارة وعدل ... تمـوج شوارعهـا بالساكـن فى مراكـز الامـن ومضـاجـع العـافيـة يقودهم الامل ويسوقهم الحرص على العمل الخ واقتفى اثـره الرحالـة الاديب المؤرخ الشيخ بيرم الخامس فقال واصفا لباريس فى شعر نثرى جميل وشعور فياض بالهيام بكل طريف . باريس وما أدراك ما باريس نزهة الدنيا وبستان العالم الارضى وأعجوبة الزمان ولعمرى انها أحق باسم مملكة من اسم مصر وهى انموذج لغرائب مصنوعات البشر وحق للفرنساويين التفاخر بها ومباهاة الامم بمحاسنها وجمالها وغناها ومعارفها ومصانعها فمهما فكرت فى احدى هاته الا وقلت ان القوم قد انحصرت اعمانهم فيها ثم التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا. وكأنها فاقت على غيرها باجتماع الكل فيها فصدق عليها المثل كل الصيد فى جوف الفرا ولو اراد الكاتب الاستقصاء فى كل طرف مما احتوت عليه لضاقت عنه المجلدات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وبالجملة فالواقف عليها يزداد يقينا فى العلم بقدرة الخالق الخ اه .

فانتم ترون ان الاديب التونسي بهرته لاول مرة بـوارق الحضـارة واشعتها وفتنتهمظاهرها وسجاه جمالها وسحره بهرجها وملكت لبه طرافتها فتولهوتحير وشعر بحياة غير مالوفة لديه ومناظر اثرت فى شعوره أبعد تاثير وتركته يندفع الى الوصف البارع تلقائيا والعذر له لانه شاهد ما لا يخطر على بال وانفتحت امامه آفاق كان يظنها بعيدة الوجود متعذرة التحقيق صعبة المنال فكتب فى صفوة الاعتبار ذلك . ولعل صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار من أروع مـا جادت يراعة الاديب التونسي فى ذلكم العهد . ولذلك كانت الصفوة اثرا أدبيا تونسيا خالدا ممتازا يشهد بتطور الادب والاديب بتونس وما وصل اليـه

الادب من النضوج والانتشار من جديد ومعالجة القضايا العامة على اسلوب لا عهد للادب التونسى القديم به ولا صلة للادب المستأنف فى مستهل العصر الحديث بخوض غماره عندما كان هزيلا ضئيلا محدودا ضيق النطاق لا يعبر الا عن وجدان الشخص فى دائرة ضيقة جدا فى رثاء عظيم أو شكـوى صبابة أو ابتهال وتضرع الى الاقطاب والاغواث والابـدال أو وصف منـزه على الطريقة التقليدية فعالجت الصفوة المواضيع التالية ذات الاهمية باسلوب ملائم للحياة الحديثة التى تتطلب الاستقصاء وتزخر بالنقد العلمى المدعم بالبراهين. تناول الاديب التونسى فيها مسألة السفر الى الخارج ولا سيمـا باروبا وحكمهـا فى الشرع الاسلامى وارخ بكتابه فترة من حياة الحضارة وتقلباتها ونظمها الحديثة ووسائلها واغراضها ومقاصدها مما لا يستغنى عنه الباحث من الوجهة التاريخية فضلا عن الناحية الاجتماعية لا سيما سير العلـوم والاداب فضلا عـن العوائد والمعتقدات الكثيرة فى دراسة مستفيضة عن الممالك الاسلامية وغيرها خصوصا مسقط رأس المؤلف تونس . ثم جادت دوحـة الادب التـونسى الحديث بألطف الثمار الدانية القطوف اليانعة المنعشة فكان من اثارها كتاب أقوم المسالك فى معرفة احوال الممالك ناهيك من مجلد جمع طرافـة الحكمـة الاسلامية وروعة الحضارة الحديثة الاروبية فكان اول اثر تونسى تظهر فيـه الـروح الادبية الحديثة فى حلتها الطريفة وينتقل فيه الادب من طـور الوجدانيات الى طـور العموميات متحررا من قيوده الثقيلة التى كانت تخدم الالفاظ وزخرفها وتعنى بالقوالب الفارغة وتهمل اللباب . ولاول مرة يقول الاديب التونسى بلغة الادب بعد ان تأملت تأملا طويلا فى أسباب تقدم الامم وتأخرها جيلا فجيلا مستندا فى ذلك لما امكن تصفحه من التواريخ الاسلامية والافرنجية مما حرره المؤلفون فيما كانت عليه الامة الاسلامية وما سيؤول اليه امرها فى المستقبل بمقتضى الشواهد التى قضت التجربة بان تقبل النتجات الى الجزم بما لا أظن عاقـلا من رجـال الاسلام يناقضه او ينهض له دليل يعـارضه اذا اعتبرنـا تسـابق الامم فى ميادين التمدين وتحرك عزائمهم على ما هو أعود نفعا وأعون لا يتهيأ لنا ان نصل الى ما يليق بنا على قاعدة محكمة البناء الا بمعرفة احوال من ليس من حزبنا لا سيما من حف بنا وحل بقربنا ثم اذا اعتبرنا ما حدث فى هذه الازمان من الوسائط التى قربت تواصل الابدان والاذهان لم نتوقف ان نتصور الدنيا بصورة بلدة متحدة تسكنها أمم متعددة حاجة بعضهم لبعض متاكدة وكل منهم وان كان فى مساعيه الخصوصية غريم نفسه فهو بالنظر الى ما ينجر بها من الفوائد العمومية مطلوب لسائر بنى جنسه. فمن لاحظ هذين الاعتبارين اللذين لاتبقى المشاهدة فى صحتهما ادنى رين وكان بمقتضى ديانته من الدارين: ان الشريعة الاسلامية كافلة بمصالح الدارين ضرورة ان التنظيم الدينوى أساس متين لاستقامة نظام الدين يسوؤه ان يرى بعض علماء الاسلام الموكول لامانتهم مراعاة أحوال الوقت فى تنزيل الاحكام معرضين عن استكشاف الحوادث الداخليـة وأذهانهم عن معرفة الخارجية خلية ولا يخفى ان ذلك من اعظم العوائق عن معرفة ما يجب

اعتباره على الوجه اللائق : افيحسن من اساة الامة الجهل بامراضها او صرف الهمة الى اقتناء جواهر العلوم مجردة عن اغراضها الخ اهـ· تلكم هى الصرخة الادبية المداوية التى صاح بها الادب الحديث بتونس لايقاظ النائمين من احلامهم اللذيذة السخيفة وحذر فيها عاقبة الاعراض والاهمال · ولو أن أبلغ كاتب حبر ما حبر فى هذا الصدد وأحصف حكيم انذر وبين وأحكم مصلح برهن ما زاد على هذه الصرخة التى تزعج كل حى ذى شعور · وما انت بمسمع من فى القبور لانها لم تؤثر فى اسارى التقليد الذين لم يحركوا ساكنا ولم يقرءوا للمستقبل حسابا حتى غمرهم السيل · وهكذا اخذ الادب التونسى الحديث يشق لنفسه الطريق قدما فى ميادين القضايا الانسانية العامة على نطاق واسع ونضوج ملموس وان ظل التاثير محدودا لان الانسان لا يؤدبه شىء كالاحداث التى تقتص منه وتريه الخطب كيف يكون اذا لم يأخذ للامر أهبته ويستعد للاحداث قبل نزولها ·

محمد الهادى العامرى

ورفـــــــات

تحية الى الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب

شعر : فاضل خلف

مـرحبا بالنفحـات التـونسية ... مرحبـا بالورقات الحسنيه
مـرحبا بالتـونسيـات التى ... اهدت الفكر منارات وضيه
وروابـى تـونس مـن قـدم ... موطن المجد وسـر العبقريـه
نبـغ الفكـر بهـا مزدهـرا ... ثـم أهدى من سناه البشريـة
هـذه الاربع كانـت قبسـا ... فسلـوهـا عن عصـور ذهبيـه
اسألوهـا عـن زمـان مشـرق ... وهـب العـالم الآء سنيـه
اسـألـوا عـن عقبـة الفتـح ... وعن فتيـة أهل ابـاء وحميـه
أقبلـوا من مطلـع النور فهـم ... رسل الامجـاد من أرض زكيـه
أسسوا فى كل ركن محفـلا ... لبطـولات وامجـاد ثـريـه
صور فـى القيـروان ازدهـرت ... ثـم شعت فى الاقاليم القصيـه
مهـدت للمجـد حتى بزغت ... فى رحاب الأفق شمس الفاطميه
دولـة يفتخـر الفكـر بهـا ... فى مجال الفخر والذكرى الزكيه
دولـة فى مغـرب الارض لهـا ... ذكريـات عاطـرات سرمديـه
ولهـا فى مشرق الارض صـدى ... صادح الجرس بمجد العلويـه
انهـا المهديـة الشماء لـم ... تـك الا مصـدرا للمدنيـه
هـذه تـونس فى اشراقهـا ... أكثيـر ان رأينـاهـا سخيـه
حين تسخو اليوم بالفكر وقد ... نشرت بالامس أفكـارا زهيـه
حيـن تبدو فى النـدى رافلـة ... وعـلالى المجـد فيهـا قدسيـه

أكثير أن نرى حسانها ... صادحا بالنفحات التونسيه
صدح البلبل لما برزت ... صور المجد له : أندلسيه
صور قد أبدعت أندلس ... فى حواشيها وكانت يمنيه
ثم أهدتها على الدهر الى ... تونس ذات المروج السندسيه
والمروج الخضر للوحى ربى ... فهى - والحق - ربوع شاعريه
وفتى الفتيان (حسنى حسن) ... مستهام بمغانيها البهيه
ألهمته الفن والفن سنى ... وسبته بالعيون العسليه
فمضى ينهل من فيض النهى ... سلسلا من نبعات كوثرية
وغدت نفس الفتى طماحة ... لمعين العلم صبحا وعشيه
فاذا بالمجد قد عانقه ... بعد عرك فى الليالى الحندسيه
واذا بالغار فى جبهته ... يتجلى كعقود عسجديه
فغدا يهدى المعالى غررا ... ظهرت فى (ورقات) أدبيه
ورقات قد حوت مجد الحمى ... منذ فجر الدهر فى أحسن حليه
فهنيئا لمغانى تونس ... بفتى الفتيان ابن الالمعيه
وهنيئا للمعالى انها ... تفخر اليوم بحامى العربيه
وتحيات الى استاذنا ... حسن الاخلاق وهاب الهديه

فاضل خلف

تونس

محمد رضا الشبيبي

بقلم : محسن الحبيب

ما أمر تلك الذكريات التي لا تتجاوب إلا مع صدى واقعها ولا تقع إلا على حطام أيامها الماضية الجميلة فترتد ، تنتحب وتتلظى بالذكرى وتلوك الحسرة ، وتخاطب أطيافا أمست واهية وتنعزل بها لتستلهم العبرة منها فتغمرها عبرات الفراق وحسرات النوى الذي لا صلة بعده الا في عالم الارواح وتقنط النفس وتنحرف إلى محراب الكمد الممض والانغلاق المضني ولكن رحمة ربك واسعة فتتجلى لها آياته "كل نفس ذائقة الموت" لكل أجل كتاب" «... فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » وتنشط الروح لتنزع عنها أدْرَان المادة وعفونة الجسم وقبح القنوط فتثوب إلى رشدها لتواصل خطوها المحدود وسيرها المحتم بما وهبت من قوى ولما وهبت له من انتاج واعمال في هذا الخضم المزبد من دنيا الناس حتى تشملها شمس الغروب وتعود أطيافا لغيرها كما هي الآن تناجي ظلال الآخرين .

خبر إرتعشت له ذبالة نفسي فذابت له عصارة فكري وهي تسترجع تلك الجلسات العذبة الشيقة التي قضيتها في فناء داره مع صحب له أوفياء يحادثونه فيرشدهم ويسألونه فيهديهم وينير لهم الطريق ويسمع شعرهم فيقطب وجهه لنتوء مفردة ويطرب لجمال صورة وتخليد ذكرى – وقد يركبون الاسفار في حديثهم فيجول معهم وذهنه في نبعه لا ينضب وتعلو ثغره الابتسامة وبده تأمرنا بالبقاء وأكواب «الشاي أو القهوة» في عملها الدائم في ركوع وسجود فلا تتركها الايدي إلا وقد سلبتها ذخيرتها ، ونسيم دجله

يخترق الابواب والستائر فينساب لينعش من أسكره وقار تلك الجلسة ونضج حصادها ...

ونسير في أحاديث لا تحدها أزمنة ولا تقيدها موضوعات وأودعه كالآخرين منصرفا إلى سكنى اتلمظ السحر الحلال واسبح في دنيا الآمال وأخزن صورا عن البشر العاملين الذين آمنوا أنهم طريق لاسعاد الآخرين فاقتلعوا أنفسهم من راحتهم وفروا من خلوهم إلى ذاتهم إلى الحنو على الظماء الذين سلبهم القدر أمامهم واستاذهم الشيخ محمد رضا الشبيبي.

فيا حسرتاه من يشملهم بعده ومن يهدى شاعرهم ويرشد ضالهم ويروي عطش أرواحهم ... ما أظن الزمن يجود بمثله في سعة علمه وفطنة ذهنه ورحابة صدره وحلم سريرته ورجاحة عقله – فإن كانت مصيبة موته كارثة فزع لها أهله وذووه فهي خطب يبكيها عالم الاسلام وعشاق اللغة والادب ورواد مجلسه هم الذين يعون عمق المصاب ويدركون فداحة الرزء.

وليسمح لي حافظ ابراهيم في توجيه شيطان شعره إليه وليكن محمد عبده عندي الآن هو الشيخ رضا الشبيبي.

ففى الهند محزون وفى الصين جازع
وفى مصر باك دائم الحسرات
وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب
وفى تونس ما شئت من زفرات

وبرا بعلمه واعترافا بجميل خلقه وأنا من الذين احتسوا شاي مجلسه ونهلوا من سيل عرفانه أتقدم إلى الذين يعرفون فضل الادباء في تونس بمقال متواضع حول فقيد اللغة العربية المغفور له محمد رضا الشبيبي ... (*)

(*) للكاتب فى مجلة اللغات العدد الرابع جانفى 63 مقال بعنوان هذا هو الشبيبى الشاعر .
كما سبق ان خص الاذاعة الجهوية بصفاقس بحديث تحت عنوان
ديوان محمد رضا الشبيبى فى برنامج حديث الكتب .

ولد محمد رضا فى النجف الاشرف سنة 1887 بين أبوين ينتمى كل منهما الى أسرة علمية عريقة فأبوه الشيخ محمد جواد من اعلام عصره فى الأدب نظما ونثرا وله ديوان ورسائل لم تزل مخطوطة وفى ذويه وأجداده من الطرفين غير واحد من الشعراء والعلماء ٠

وفى تلك المدينة نشأ ودرس وفق برامج المعاهد العلمية الأهلية ولم ينخرط فى سلك مدرسة رسمية لان البلاد كانت تابعة للدولة العثمانية وهذه الدولة وإن كانت لها مدارسها هناك الا ان النشء العراقى كان قليل الاقبال عليها ٠ « **ونشأ وفيه ميل غريزى موروث من والديه الى تلقى العلوم والآداب وبعد ان درس فى تلك المعاهد العلمية الأهلية اشتغل بنفسه وانصرف الى الدروس والتفكير بذاته فكانت فطرته العالية أكبر معلم ومخرج له** (1) » ٠

وعرف اقرانه فضله وتفوقه فبدا امامهم وخطيبهم فى مجالسهم وسرت هاته الشهرة حتى دوت فى آذان القوم والشاب فى سير حثيث نحو العلم يكرع من مناهله ويشرب من حياضه لا يلهيه شىء الا واقع قومه المؤلم وبؤسهم وشقاؤهم وتفطن القوم لنبوغه ولوذعيته وحميته فانتدبوه ممثلا لهم ليسافر الى الحجاز اثناء انعقاد مؤتمر الصلح هناك وأم الحجاز واوصل ما كلف به ثم تحول الى الشام وقضى فى جلق مدة من الزمن مع صحبه المجاهدين وهنا يشتاق الى بغداد فيقول :

ببغداد اشتاق الشام وهانا
الى الكرخ من بغداد جم التشوق
فما أنا بارض الشام بمشئم
ولا أنا فى أرض العراق بمعرق (2)

وعند ما شبت الثورة العراقية قصد بغداد وحل بها فى 27 اكتوبر 1920 ليأخذ مكانه بين ابناء وطنه فى تغذية الثورة والسهر عليها باشعاره الحماسية وخطبه الملهبة للنفوس ٠

وتظهر الحرب رجاحة عقله وتبين المجالس والاندية مدى علمه فينتخب فى

(1) شعراء العراق المعاصرون للسيد غازى عبد الحميد ج 1 ص 12 .
(2) الديوان ص 42 .

سنة 1923 عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق وما ان استقلت العراق حتى عين وزيرا للمعارف سنة 1924 في وزارة المرحوم ياسين الهاشمي الاول وسارت هاته المصلحة التربوية في زمنه الى الرشاد بآرائه الصائبة وبعد سبعة أشهر استقال اثر مفاوضات النفط التي لم ترضه وفي سنة 1927 كان نائب ولاية بغداد في المجلس النيابي الاول وفي سنة 1932 اسندت له رئاسة نادي القلم العراقي خلفا للمرحوم جميل صدقي الزهاوي وعاد سنة 1935 الى وزارة المعارف للمرة الثانية ـ رغم قصر المدة ـ وفي نفس السنة عين عضوا في مجلس الاعيان ثم رئيسا له في سنة 1937 ويعود الى وزارة المعارف للمرة الثالثة سنة 1938 في وزارة جميل المدفعي الاول (1) .

وفي سنة 1943 انتخب رئيسا لمجلس النواب وجدد هذا الانتخاب في سنة 1944 وما ان أطل عام 1945 حتى انتخب لرئاسة المجمع العلمي العراقي وفي سنة 1948 كان عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وكان عضو مجلس الاعيان في سنة 1954 وعضوا للمجلس الاعلى للمخطوطات في الادارة الثقافية بالجامعة العربية منذ سنة 1955 .

هاته تواريخ تصرح بجدارة هذا العالم الذي تعدت شهرته حدود بلده وتعالت نداءاته في ميادين الاصلاح الاجتماعية والسياسية ... ومشاغل كهاته على اختلاف الوانها نعجب كيف يسعها ذهن رجل واحد لولا ما عرف عنه من سعة اطلاع واتقاد ذهن ورحابة صدر وقوة مراس .

ولم تكن هاته المناصب هي التي استحوذت عليه وحدها فالى جانبها الدرس والبحث والتنقيب فان كان يأخذنا العجب والاكبار ونحن نستعرض مهامه الادارية والسياسية والعلمية فقد يشملنا نفس الاعجاب والتقدير والاندهاش ونحن نستعرض اسماء مؤلفاته سواء التي سارت الى الطبع فظهرت الى الوجود أو التي ابقاها مخطوطة ويضعف العجب اذا عرفنا ان الرجل كان دؤوبا على العمل يستفيد من اوقاته فقد استغل وجوده في الشام وعكف على دراسة :

1) ابن الفوطي البغدادي التي طبعت في جزأين كما تمكن من احياء كثير عن المخطوطات كامصار العلوم للفارابي وكتاب الافادات والانشادات من

(1) وكانت وزارته الرابعة 1941 في وزارة المدفعي الثانية .
وكانت وزارته الخامسة 1947 في وزارة محمد الصدر .

املاء أبي اسحاق ابراهيم بن موسى وتسمية ابطال العرب وقاتليهم في الاســلام .

2) **أدب المغاربة والاندلسيين : محاضرات القاها على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية طبع سنة 1961 بالقاهرة .**

3) **اصول الفاظ اللهجة العراقية .**

4) **رسالة التربية في الاسلام طبعت في بغداد سنة 1959 .**

5) **ديوان الشبيبي طبع بالقاهرة 1940 .**

هاته كتبه التي عرفتها المكتبات العربية اما المقـالات فلا يحصرها عـد ولا يكفيها تعيين ويكفي ان نشير الى مجلات المجـامع العلمية الثـلاثة القـاهرة دمشق العراق التي حفلت ببعضها ..

اما المخطوطات فكثيرة استطعت أن اعلم اسماء البعض منها :

1) **تاريخ النجف الاشرف .**

2) **تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها .**

3) **فلاسفة اليهود في الاسلام .**

4) **كتاب المسألة العراقية .**

5) **فن المناظرة .**

وهكذا قضى الشيخ محمد رضا الشبيبي 78 سنة حافلة بالنشاط العلمي والسياسي والاجتماعي المثمر حتى انطفأت تلك الشعلة يوم 26 نوفمبر 1965 وابقت للتاريخ ذكر حصاده وفضله .

وما زال بره منة في اعناقنا نطلب من الله العون حتى نفي ببعض منه في حديث آخر عن أدبه نثره وشعره ...

محسن الحبيب

عد يا ربيع

شعر : الهادى نعمان

عد يا ربيع مع الشتاء شبابا   عد واقعا لا خدعة وسرابا
عد وامتحني في هواك على المدى   وأزح عن البدر الوضي سحابا
عد ياربيعي شاعراً مستلهماً   آفاق فجر ينبلجن طرابا
عد شاعراً يشدو لقلب شاعر   متطلعين إلى السماء شهابا
عد يا ربيعي طائرا مترنما   واصدح بفن منك لذ وطابا
إن جردت أغصان دوحي فالغنا   لا شك يلبسني القشيب ثيابا
أو عريت أرضي فمنك قادر   بعظيم سحر ينبت الاعشابا
تنزوى على بطش الخريف .. على الشتا   فتجيء للدنيا فتى وهابا
أنت الربيع ربيع نفس طالما   غنتك أشواق الحياة عذابا
ولطالما ناديتك من خلف الدجى   لتفجر الفجر اللذيذ شرابا
شمسي لديك أحبها معبودة   فأزح نقابا مانعا ونقابا ..
والفكر فيك تعبد في هيبة   فأملأ بأنوار الحياة رحابا
ياساحرا كم قد تعشقك الورى   ولكم فتنت الناس والألبابا
يا أيها الامل المرفرف في الدنا   ياخير دنيانا منى وطلابا
هب لي من الروض الفسيح وروده   ومن الورود جمالها الخلابا
ليكون لي حسن الحياة وسحرها   إلفين عندي في الصميم كتابا ..
عد ياربيع إلى الفؤاد يهزه   أمل الشباب فيملأ الاكوابا
عد بي إلى دنيا الشباب وسحرها   وإلى غرام حيث كان وغابا
وإلى حياة ذات انس دافق   هو عازف في مسمعي ربابا ..
وإلى وجود لا أمل رواءه   يضفي علي من المنى أسرابا ..
هذي صلاتي ياربيع أزفها   مني إليك توسلا أوابا ...
عد ياربيعي فالشتاء مللته   وماللت فيه غربة وعذابا

وسئمتُ فيه وحدتي في ظلمتي ... حيثُ الخيالُ يزيدُني أتعابا
إنّ الشتاءَ هو العنادُ أهدُّهُ ... لأصيّرَ الجبلَ العنودَ ترابا
لي موجُ بحرٍ يقطعُ الصخرَ الذي ... كانَ العنادَ وكانَ دونك بابا
يا موجُ واصلْ قطعَهُ ببسالةٍ ... فلقدْ عهدتُكَ دائما غلابا
إيهِ ربيعي أنتَ خالقُ بغيتي ... ولأنتَ سحرٌ يُسعِدُ الآرابا
فيكَ المؤمَّلُ ياربيعَ خواطري ... يا منهلا عذبا يلذّ شرابا
إني وإنْ كنتُ البعيدَ عن المنى ... لي منكَ بُشرى تستحثّ ركابا
عُدْ ياربيعي نغمةً سحريةً ... في أرضِ أحلامي تُقيمُ شبابا
في أفقِ آمالي أراها نجمةً ... وأنا المسافرُ فاقدٌ أصحابا
عُدْ ياربيعي أصطحبْكَ برحلتي ... إنّي محددُها هوىً وثّابا
وكذا المسافرُ كلما زلّتْ به ... قدمٌ وأخطأ يرتجيكَ صوابا
ما كنتُ أُخطئُ لو تخذتُكَ حاديا ... قد كنَّ لي فيكَ الرِّغابُ كذابا
إذْ كيفَ يُخطئُ والجمالُ ربيعُهُ ... قلبٌ تحسّسها لديكَ رغابا
إنّي أسأتُ التَّهمَ فاغفرْ زلّتي ... ولعلّني كنتُ الفقيرَ وطابا
زادُ التجاربِ في المساربِ لم يكنْ ... زاداً وفيراً يفتحُ الابوابا
ولعلّ مفتاحَ الحياةِ أضعتُهُ ... في زائفِ الدنيا فذقتُ الصابا
ولعلّني كنتُ المشرّدَ بالحجا ... في عالمٍ جهلَ السّنا المنسابا
ولعلّني كنتُ المجنّحَ في المنى ... فجهلتُ كونَ الشعرِ والمحرابا
عُدْ يا ربيعُ فبالشعورِ صبابةٌ ... وبكَ التغنّي يستعيدُ شبابا
وبكَ الاماني تستجدّ ربيعها ... والشعرُ يُسلسُ بحرَهُ الصخّابا
والشعرُ فيكَ ربيعُهُ متجدّدٌ ... فإذا الجديدُ يُغالبُ الاحقابا
عُدْ ياربيعَ الشعرِ للدوحِ التي ... غنّتْكَ حقّاً ما تريدُ ثوابا
عُدْ ياربيعي ياحبيبَ مشاعري ... عُدْ لي فقلبي فاقدٌ أحبابا
عُدْ لي وحوّائي وجودٌ زاخرٌ ... والحسنُ خمرٌ تملأُ الأكوابا
عُدْ لي ووجداني لهيبٌ مرسلٌ ... عُدْ لي أبدّلْ باليقينِ سرابا

الهادى نعمان

مقدمة في الشعر الملحون *

بقلم : عبد المجيد بنجدو

(7)

يختلف الاخفش والخليل الفراهيدى فى تحديد القافية ، وتنقل ، هذا الاختلاف فى النظريتين ، معظم كتب العروض ، والنظريتان طريفتان ، الا ان نظرية الخليل اقرب الى العلم وابعد عن العفوية ، لانها نظرية تعتمد الايقاع الشعرى . والايقاع فى الشعر هو كل شيء .

بينما نظرية الاخفش ابعد ما تكون عن الايقاع ، وتعتمد وحدة المفرد اللغوى ، لان الاخفش يقول ان الكلمة الاخيرة فى البيت الشعرى هى القافية ، وينتصر له جماعة من المتفقهين فى الجدل اللغوى فيقولون مدعمين نظرية الاخفش ، سئل أعرابى عن القافية فاجاب انها الجملة الاخيرة من البيت الشعرى ويتخذون كلمة الاعرابى حجة فى دعم قاعدة علمية ايقاعية جاهلين ان الاعرابى لو كان يعرف الايقاع لقال الذى قاله الخليل فى تحديد القافية .

فالقافية على رأى الاخفش فى هذا البيت هى كلمة (الرجل) :

ودع هريرة ان الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا ايها **الرجل**

وكلمة (قدم) فى بيت المتنبى :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا

باننى خير من تسعى به قدم

والامثلة كثيرة وهى موجودة فى كل بيت من الشعر العربى ، وقد يكون راى الاخفش هذا مبنيا على جدل لغوى وقد يحتج براى الاخفش فى بيت عنترة الذى يقول فيه :

والناذرين اذا لقيتهما دمى

فالاخفش الذى يرى ان الكلمة الاخيرة فى البيت هى القافية والكلمة الاخيرة فى هذا العجز هى (دمى) لا يجعل ألف المد فى لقيتهما ألف تاسيس ، لأن

(*) راجع الفكر ـ العدد 6 ـ 8 ـ 9 ـ السنة 10 ـ والعدد 2 ـ 4 ـ 5 السنة 11 .

ألف التاسيس فى زعم بعض العروضيين لا يمكن ان تكون الا فى كلمة القافية • فألف التاسيس التى يفصل بينهما وبين حرف الروى حرف يسمى الدخيل (وسنتعرض له فى غير هذا المكان) لا تكون خارجة عن كلمة الروى ، فهى لا بد ان تكون احد حروف هذه الكلمة فى مثل قولك : قادم ، وجاهل ، ونازل ، الى غير ذلك •

اما ألف المد فى قوله : والناذرين اذا لقيتهما دمى فهى ألف ضمير التثنية وهى ليست من كلمة دمى • وهذه النظرية مبنية على وهم ، وان الذى يهم فى الشعر هو حركاته وسكناته بوصفهما الاداة الوحيدة للايقاع فى الشعر ، اما المفردات والكلمات فقيمتها لا تهم الشكل الهندسى الايقاعى للبيت •

وألف لقيتهما عندى ألف تاسيس ، واذا وقع عنترة فى هذه الهفوة الايقاعية فلا يجب ان نجعل بيته حجة على قاعدة موسيقية ، ولا يجب ان نبالغ فى اعتبار الشعر الجاهلى حجة على القاعدة فقد تحدث اخطاء عروضية فى شعر الجاهليين ، وقد تكون هذه الاخطاء مهما كانت قيمة الشاعر وقيمة شعره وقد تكون الاخطاء من تحريف الرواة ، أو من انتحال المنتحلين ولم يكن غرضنا فى هذه الرسالة البحث فى هذا الامر ، ولكن كان لا بد من الاشارة اليه •

ويعيننا على صحة هذه النظرية الاخطاء الايقاعية الكثيرة التى ارتكبها امرؤ القيس فى معلقته : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •

وقد أحصيت لامرىء القيس فى معلقته اكثر من ثلاثة عشر زحافا وكلها من نوع القبض فى مفاعيلن :

مثل قوله :

غدائره مستشزرات الى العلا
تظل **العقاص** فى مثنى ومرسل

وقوله :

ترى بعر الأرآم فى عرصاتها
وقيعانها **كأنه** حب فلفل

وقوله :

اذا قامتا **تضوع المسك منهما**
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وقوله :

ألا رب يوم **لك** منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل

وقــوله :

ويــوم **عقـرت** للعــذارى مطيتــى
فيـا عجبـا مـن كورهـا المتحمـل

وقــوله :

تضــىء **الظــلام** بالعشــاء كـانهـا
مــنــارة ممســى راهــب متبتــل

وقــوله :

مســح اذا ما السابحات على الـونى
أثـرن **الغبـار** بالكـديـد المـركـل

وقــوله :

أصــاح ترى برقــا اريــك وميضــه
كلمـع **اليـديـن** فى حبـى مكلـل

وقــوله :

يضىء سنـاه أو مصـابيـح راهـب
أمــال **السليـط** بالـذبال المفتـل

وقــوله :

قعـدت **لـه وصحبتـى** بين ضـارج
وبيــن **العـذيب** بعـد مـا متـأملى

وقــوله :

عــلى قطــن بالشيــم أيمـن صوبـه
وأيسـره **عـلى** الستـــار فيـذبـل

وقــوله :

ومـر عـلى **القنــان** مـن نفيـــاتـه
فأنــزل منه العصـم من كل منـزل

أبعد هذا يكون مفروضا علينا ان نتخذ كل شعر قيل فى الجاهلية حجة على قواعد العروض ٠

وان نقول ان ألف المد في : اذا لقيتهما دمـي ليست ألف التأسيس لان عنترة قال هذا في قصيد قافيته خالية من ألف التأسيس ٠

اذ يقـول عنتـرة :

ولقد خشيت بأن أمـوت ولـم تكـن
للحـرب دائـرة على ابنـي ضمضم

الشـــاتمي عـرضي ولـم اشتمهمـا
والنـــاذريـن اذا لقيتهمـــا دمـــي

بينما الشعر لم يكن سوى ايقاع ، وهذا الايقاع يجب ان نسلط عليه الطبع العربي ، وهذا الطبع العربي صاف لا يقبل الخلل ، ولذا كان من المفروض على علماء العروض الا يتخذوا من شعر امرىء القيس حجة ، وامتنعوا من قبض مفاعيلن في الطويل (ـ ـ ٥ ـ ٥ ـ ٥) بان تصير (ـ ـ ٥ ـ ـ ٥) مفاعلن ٠

كذلك كان على العروضيين ان يعتبروا ألف المد في لقيتهما ألف تأسيس ، وان الطبع ضعف في بيت عنترة ، حتى تسلم القاعدة ويسلم معها الايقاع ٠

اما نظرية الخليل في تحديد القافية ، فانها تعتمد الايقاع الشعري ٠ وهي تبدأ في القافية المطلقة من الساكن الاخير المتولد عن الوصل الى الساكن الذي قبله ، ويضيف الخليل الى هذا الساكن الحرف المتحرك قبله ، اعتقادا منه ان الساكن لا يستقل بنفسه وتبدأ في القافية المقيدة من الساكـن الاخير الذي هو حرف الروى ٠ الى الساكن الاول الذي يتقدمه ٠

مثال ذلك في الروى المطلق :

أقيمـوا بنى أمـي صـدور مطيكـم
فـاني الى قـوم سـواكـم لاميـل

فالقافية تبدأ من واو الوصل المتولدة من مد لام أميل (أميلو) الى الهمزة والميم الساكنة في (أميلو) ٠

وهذه صورتها (ـ ٥ ـ ـ ٥) أميلو ٠

اما مثال الروى المقيد ففي قول عمر ابن أبي ربيعة :

بينمـــا ينعتننـــي أبصـــرنني
دون قيـد الميل يعـدو بي الأغـر

فالقافية ما بين حرف الراء الاخير الساكن الى الساكـن قبلـه في لام الـ

وتحذف همزة الوصل وتعوض بباء بى فتكون القافية بى الأغر وهذه صورتها (ـ ٥ ـ ٥) بلأغر ٠

القافية تكون كلمة واحدة ٠
وتكون أكثر من كلمة ٠
وتكون أقل من كلمة ٠

تأتى كلمة واحدة ٠

كما فى قول المتنبى :

الا لا أرى الاحداث مدحـا ولا ذمـا
فما بطشها جهـلا ولا كفهـا حلمـا

فكلمة (حلما) هى كلمة القافية ٠

وتأتى القافية فى كلمتين (اى انها لا تقتصر على كلمة واحدة) ٠

كما فى قـولـه :

قـالت تخليـت قلـت عـن جلـدى
قـالت تغيـرت قلت فى بـدنى

فانت ترى هنا ان القافية تألفت من كلمتين همـا (فى) حـرف الجـر ، و (بدنى) اسم مجرور به ٠

وقد تكون القافية بعض كلمة كما فى قول الشاعر :

ومـن يـك ذا فـم مـر مـريـض
يجـد مـرا بـه المـاء الـزلالا

فالقافية هنا هى كلمـة (الـزلالا) وهى تتمثـل فى (لا لا) وهى بعض كلمة (الـزلالا) ٠

عبد المجيد بنجدو

خطان من دخان

شعر : محمـد مصمـولى

ـ 1 ـ

هى أمرأة تنظر ولا ترى
تطل من النافذة على الطريق
وكأنها تطل على أيامها الماضية ،
أيامها الماضية بلا لون وبلا حرارة ٠
هى تتثاءب حياتها
وفى عينيها يمر الطريق ،
هى امرأة تنظر ولا ترى
تطل من الطابق الثالث بالعمارة الكبيرة ،
بشارع الحرية ٠٠٠
وفجأة بدا رجل فى عينيها ،
فى زجاج عينيها
عينيها الحجريتين ٠٠٠

ـ 2 ـ

هو شاب ينظر ولا يرى
ينظر من الطابق الثالث بالعمارة المقابلة ،
بشمال شارع الحرية ،
شاب بعثر شبابه قبل الأوان ،
تركه وراءه ،
ولدته أمه بثيابه ، وعلى جبينه قصة الشقاء ،
عرف من الكؤوس العشرات ،

عرف من النساء فى أحلامه ووهمه ،
عرف ما لا تسعه الذاكرة ..
عرف من كانت بلا لون أو بكل لون ،
هو أيضا ،
قد شد بصره الى الطريق المتدحرج
كعجلة يديرها صبى قذر ، مجنون .
الا أنه كان يعيش فى متحف ذكرياته ،
فى ثلاجة أيامه ،
يعيش بلا عمر ،
يعيش فى مدار مغلق
وفجأة بدت امرأة فى عينيه .
فى زجاجة عينيه
عينيه الحجريتين .

3 ـ الرؤيـــا

الرؤيا ألف نهر
تملأ النفوس حتى الفيضان وقد تغرقها
رأته المرأة ،
فاذا بها توصد أبواب أمسها المتثائب ،
مثل جرح خفى ...
أوصدت كل شىء الا نفسها ..
بدت عارية كاعلان حرب .. ذرية .
أخذت تتحرك كثيرا كفكرة حمقاء متذبذبة ،
نسيت كل شىء الا هذا الرجل ،
وأمام الرجل ،
أخذت تمثل مسرحية المرأة ،
مثل دمية متحركة ..
ورآه هو ،
فأسلم لها زمام شعوره فى الخيال ،
ولم يتساءل حتى عن جمالها .

أخذت على بعد ،
عبر الفراغ ،
عبر الطريق ..
أثارت الغبار عن يومه ،
فبان أمسه
وفى قلبه خفقة الغد ،
رآها فأورق بعد ذهول ،
تدفق فيه ألف نبع
فاض منه ألف وهم ،
ثم ظل صامتا ، كتمثال من ملح ..
ظل ينظر فى بلاهة ،
وفى عينيه امرأة بالطابق الثالث من العمارة الكبيرة
بشارع الحرية ...

4 ــ الطريق

الطريق مسرح حجرى ،
الطريق بين المرأة والرجل ،
تمشى كأبله يسابق الريح ،
تمشى بألف ساق الى اللانهاية ،
تتلوى مثل أفعى ،
وتغنى فيسمع لها صوت كجعجعة الرحى
تلوك الجماجم
ترى فيها حركة الحياة ولا حياة ،
تقول كل شىء ،
وما تقوله ،
يكفنه الضياء ،
ويطويه الظلام ..
ويظل الرجل وتظل المرأة
مثل خطين من دخان ...

محمد مصمولى

من تراث المرحوم مصطفى آغا

حديث بين صاح ونشوان

لله ما تأتى به الصدف ، من النفائس والتحف ، نعم قد تأتى الصدفة ، بما تعجز عنه المشقة والكلفة ، فقد استمعت حديثا تجاذبه اثنان ، أحدهما صاح والآخر نشوان ، أو بين من أقلع وفر ، ومن استمر واصر يتخاطبان بصراحة ، ويعبران بفصاحة ، والاخير فى أوائل أكوابه ، ما زال ماسكا زمام صوابه ، وكابحا جماح الاندفاع ، جهد المستطاع ، يسير على هينة فى طريقه ، والاول يجرى على حركاته تحقيقا ، ويحدق فى وجهه تحديقا ، وكأنه يقول لنفسه سأبقى على هذه الحال واتدبر سؤاله وجوابه وأبلغ منه المأمول ، قبل أن تسبقنى الشمول ، فأنا اذا احتللت مملكة دماغه ، فلا تجليها فصاحة وبلاغة ، ولا حجة ولا دليل ، ولا تبيين وتعليل ، هذا والرفيق السكير ، يرنو اليه بطرف حسير ،كأنه يحاول قراءة صحيفة أفكاره،ليتطلع الى حكمه واقراره، يهم ويتردد ، ويعدل ثم يجدد ، وذلك ان خزينة أسراره وان قاربت الانفتاح ، فهى لم تزل محتاجة لبضعة اقداح ، هذا ما تبينته من الرجلين ، بمرآة البصيرة ووعاء العين ، طال الانتظار ، لما اترقبه من حوار ، وسئمت نفسى ذاك السكون ، واشتاقت لما عسى أن يكون · عندها تثاءب النشوان ، واستقدم ابنة الدنان ، فقدمتها احدى الغوانى ، ترقرق فى ثوبها الارجوانى ، فهتف لها بعض المحبين ، وتلقاها باليمين ، فأهدته طلاقة وانشراحا ، وكانت لخزائن قوله مفتاحا ، وجاء دور الكلام ، فقال حليف المدام ، هل لك أن تجيبنى أيها الرفيق والفيلسوف المنطيق ، ذو الآراء السديدة ، والتجارب العديدة ، لماذا شذذت عن الناس ، ونبذت لذة الكأس ، وجلبت لنفسك الأسى ، مذ حرمت الاحشاء ، ولعمرك ما ضم الدنان ، الاترياق الاشجان ولا حوت الاقداح ، غير حسير الأفراح ، وما انجبت ابنة العنب ، الا اللهو واللعب ، فبورك فى المنجاب ، وسقيا لمفعمة الاكواب ، ولا زالت تورد الخدود ، وتقطع حبل الصدود ، فهى التى تزيد قواك ، وتضاعف محاسن مرماك ، وتكفيك هزة الاتباع ، وتكسوك حلة الاقتناع ، فهى المحسنة اليك ، والمغدقة عليك ،

فلقد علمتني السخاء ، ومدت يدى بالعطاء ، وما كنت قبلها سخيا ، ولا كان كفى نديا ، كما اكسبتنى الاقدام ، ودفعتنى الى الامام فبت لا أحجم عن جلل ، ولا اتقاعس من خجل واعادت لى زمن الشباب ، وابعدتنى عن صف من شاخ وشاب • وحلت عقدة من لساني ، فجاريت الفرزدق وابن هانى ، ومهدت لى سبيل التعارف ، حتى اصبح جل الناس من المعارف ، وأصبحت ارى كل قد أملود ، وكل الخدود ورودا ، وكل قول معجب ، وكل صوت مطرب ، أما باكورة الاقداح فهى تباشير هدو وسكون ، وانتظار ما عسى أن يكون ، واما الثانية فهى مزيلة الاتراح ، وحاملة الافراح ، وأما الثالثة فهى تمنح الفتوة ، وتضع الفعل مكان القوة ، واما ما بعد ذلك ، فانها تمهد المسالك ، وتبعث الشوق الى الكلام ، وتمزج الواقع بالاوهام ، واليقظة بالمنام ، والحقيقة بالاحلام ، وهذا صنيع الراح ، الى منبلج الصباح •

الصاحى : وبعد ذلك ، ما مصيرك وما مآلك •

النشوان : وبعد ذلك أنام ، فلا اشعر بما تجرى به الايام •

الصاحى : وبعد ذلك المنام ، والغفلة عن حوادث الايام •

النشوان : وبعد ذلك اسرع اليها ، واعكف من جديد عليها ، وهكذا تنقضى الحياة ، بين احلام ومسرات •

الصاحى : تالله لقد خدعتك العقار ، وسلبتك العزة والوقار ، ولعمرك ان نسمات هذه الصبا ، سوف تنقلب عاتية نكباء ، تقتلع منك جذور السلامة ، وتغرس فى مكانها شجرة الندامة ، وتقد عذبات هنائك ، وتزيد فى عذابك وعنائك ، فيومئذ تعذب عذابا أليما ، وتصبح بعد الينبوع هشيما ، ولا دواء وهل يجدى الدواء ، زرعا غدا غثاء أحوى ، تخطو ببطء وتنطق بالهمس ، وترتعد كالذى يتخبطه الشيطان بالمس ، تعددت فيك الاوجاع والاوصاب وحقت عليك كلمة العذاب ، وما لك بعدها من خلاص ، ولات حين مناص ، تنخذل رجلاك ويحسر طرفك ، فتبقى نشوان رغم أنفك ، تميل ذات اليمين وذات اليسار ، كانك فى آخرة العقار ، وليس هذا بآخر الطلا ، بل هو آخر حياتك الدنيا ، لقد خدعتك الشمول حينا ، وأورثتك داء دفينا ، تشوب لذتك بالغول ، وتختم حياتك بالهول ، نعم انها تقصى عنك الهموم ،

وتقرب منك الاجل المحتوم ، تبيت منها ذا قوتين ، وتصبح خلوا من الاثنين ، نعم انها تمنحك قوة ان الحفت سؤالا ، ولا تبخل بها عليك ان ما زلت ملحفا سئالا ، ولكن لم تهبك الشمول ، شيئا ايها الغر الجهول ، بل اقرضتك من قواك ، وزعمت عطاء فنلت مناك ، وستأتى ساعة وفاء الدين ، وهو الاقلاع والاعتدال ثم الحين ، ... واصبح باسطا به كفا نديا ، وبذلا سخيا ، فلو فحصت ثروتك الحياتية ، لما وجدتها الا بقية ، لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ولا يرجى لها زيادة أو رجوع وعندها تتبين لحيف قاتله ، الهم والضجر ، تفتك رويدا رويدا بأبناء البشر ، ساعة لا ينفع الندم ، ولا مفر من العدم ، فما قولك يا أبا العصير ، فى جمال هذا المصير ، وعذوبة هذه الحياة ، مع وجود هذه الآفات ،

النشوان :

رأيت الراح تسعد بالامانى ... اذا ما فارقت سجن الدنان
وتفعل بالقدود فعال ريح الصبا ... تلهو بأغصان الجنان
تزيد الراح مفعولا اذا ما ... تكون الطائفات من الغوانى
ففى الوجنات والكاسات طافت ... بأحمر من كلا الطرفين قان
اذا ما لا مست ثغرا نضيدا ... ترى المرجان ازهر فى الجمان
وقبل شرابها لم اخش لحظا ... وبعده كل لحظ قد دهانى

الصاحى :

رويدك يا شغوفا بالدنان ... فسوف تعض اطراف البنان
زعمت الراح راحة كل حى ... وصارفة على صرف الزمان
وتبسط بالعطا كفا الى من ... شكا عوزا وغرته الامانى
وليس عطاؤها الا قوات ... مؤقتة تزول بعيد آن
وهب منحتك عن مرح بيانا ... فماريت الفرزدق وابن هانى
فانك مصبح لكنا عييا ... بطىء القول معتقل اللسان
فتسأم منك ان قلت الندامى ... ولا ترضى بعلتك الغوانى
ولا تلقى من الجلساء ميلا ... ولا الاحسان من تلك الحسان
لعمرك ان ترى كأسا دهاقا ... بأحمر من سجين الكهف قان
فذاك دم ارقته منك عمدا ... وليس بعائد والجسم فانى
شباب رائح مع كأس راح ... وحين قادم مع بنت حان

حديث بين حكيم وفتاة

ساقتنى احدى جولاتى اليومية ، الى بعض الحدائق العمومية ، وقد جادها الغيث بقطراته ورصعها الربيع بزهراته ، فجلست على احدى المقاعد الخشبية ، فوق البسط الزبرجدية ، فراق لى ذلك المكان البعيد ، وحامت على بنات النشيد ، فقبلت الراقيات ، وتركت الباقيات ولكن قطع على سلك التصورات ، حديث بين رجل وفتاة ، هذه عليها رشاقة الضباء ، وذاك عليه هالة العلماء ، سمعت الرجل الحكيم ، يقول لها بقول حكيم ، : ما معنى الشعر أيتها الفتاة ، وما فائدة الترنم بالابيات •

الفتاة : الشعر أوزان وضروب ، وترنيمة وحسن أسلوب ، وكلام فصيح ، وغزل ومديح •

الحكيم : لا • بل الشعر فن جميل ، وعمل جليل ، وصوت رنان ، يدخل القلوب بلا استئذان ، وانه لأول نداء ، تجيبه الاصداء ، انه زخرف المبانى ، ومجهر المعانى ، وعدة الاندفاع ، وترس الدفاع ، ويقظة النفوس ، وايثار المحسوس ، واعراب عن الشعور ، وابداء لما فى الصدور ، ونتيجة وحى القريحة ، وصحيفة الجمل الفصيحة ، والمرشد الهادى ، والمخلد للمبادىء ، مدير السياسة ، ومثير الحماسة ، ومضرم نار الكفاح ، ومرسل رياح السلم والارتياح ، فالشعر من لوازم الحياة ، للآدميين لا للحيوانات •

الفتاة : هل لك أيها الاستاذ الجليل ، أن تنشدنى من هذا القبيل ، وتسوق الى مخيلتى هذا الصيب ، علنى أميز الخبيث من الطيب •

الحكيم : اليك يا شقيقة الريم ، ويا ابنة الاكاميم ، كلمة قبل المثل ، تبلغك الامل ، هناك رجل هام فشكا ، وآخر زعم فحكى ، ذاك يقول ما يجد ، وهذا يزيد ويجتهد ، هذا يبث شوقه ويشكو آلامه ، وذاك يرفع فوق قلاع القول أعلامه ، فهل يتفق القولان ، وهل يستوى القائلان ، فى الاول :

يقولون سوداء العيون مريضة — فأقبلت من أهلي اليها أعودها
فوالله لا أدرى اذا أنا جئتها — أأبرؤها من دائها أم أزيدها
اذا جئتها وسط النهار منحتها — صدودا كأنالنفس ليست تريدها
ولى نظرة بعد الصدود من الجوى — كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها

ومن الثاني :

لو أن قلبك لي يرق ويرحم	ما بت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أنني لا سهم لي	من ناظريك · وفي فؤادي أسهم
يا جامع الضدين في وجناته	ماء يرف عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل	فعلام يكسر عندما تتكلم

أرأيت الاول أنشد ما املاه الاحساس ، والثاني قال ما يعجب الناس·

الفتاة : لعمري أيها الاستاذ العزيز ، انك أفهمتني بقول وجيز ، فقد تبينت نشيد الالم ، من نشيد مرصع الكلم ، والفرق بين المتألم الباكي · والتصنع الحاكي ، وتالله لو قال حبيب يصف الهوى ، ويشكو مرارة البعد وحر الجوى ، واندفع يتشبث في جمالي ، ويشكو من تيهي ودلالي ، وان طرفك فعل ماض ، في حالتي اقبال واعراض ، فلماذا كسرته حين كلمت صبك الملتاع ، وهو مبني على الفتح بالاجماع ، لقلت ها أنا رفعته عن هوة ادعائك ، ولا افتحه بعد اليوم على أمثالك ، فلا تطمع بعد اليوم في وصالي ، وانحرف عني الى الخليل والكسائي فلست بصاحب غرام ، بل مغرم بالكلام ، ولا من عشاق الغواني ، بل أنت من غواة المعاني ، هذا أيها الهمام ، فيما يتعلق بالغرام ، فهل لك أن تنشدني مثل هذا في الرثاء ، حتى اتبين المتباكي ممن بكى ·

الحكيم : اليك من الثاني :

كنت السواد لمقلتي	فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك أن يمت	فعليك كنت احاذر

ومن الاول :

لم انسه وبنو الملوك أمامه	يدمون للأسف الأكف عضاضا
والثلج قد غطى الربى فكأنها	من حزنها لبست عليه بياضا

الفتاة : بورك فيك أيها العلامة ، فقد جعلت لي لكل قسم علامة ، فلست بعدها أضل السبيل ، ولا احتاج الى هداية دليل ، والآن أسألك عن ذلك الفن الجميل ، المسمى بفن التمثيل · فهل لك أن تبين لي حقيقته ، وتنير لي طريقته ، أما أنا فلا أعلم الا أنه حكاية قصة ، من تعاسة بؤس الى اعتلاء منصة ، تقوم بأدواره الرجالات ، وتسيغه الفتيات ، مسرات وآلام ، تتخللها بعض أنغام ·

الحكيــم : لا ليس هذا فن التمثيل ، ولا حقيقة ذاك الفن الجليل ، فليس التمثيل بناية كبيرة ، ومقاعد وثيرة ، وثيابا فاخرة ، ووجـوها نـاضرة ، وأنوار ساطعة ، وألحانا رائعة ، واعادة قصة ، واعتلاء منصة ، وملكا ووزيرا ، وخيرا وشريرا ، وغانية تمرح ، على خشبة المسرح ، نعم إن هذا بعض التمثيل لا الكل ، أو هو الخيال للحقيقة والظل ٠

الفتــاة : أنا أعتقد أن هذا هو التمثيل ، ما لم يقم على غيره دليل ٠

الحكيــم : اعلمى ايتها الذكية ، والزهرة الشذية ، ان هـذا النقصـان شيء دقيق ، لا يدركه الا أهل التدقيق ، الذين ينقبون على النفسية ، التى تطابق الدور المناط بها مطابقة مرضية ، فممثـل الملـوك ، لا يكون سبروتا ولا له نفسية صعلوك ، فان هذا وان قام بظاهر التمثيل ، فانه لا يشفى الغليل ، فكيف يتقمص الملك فيه ، وهو لا يسعه ولا يأويه ، ولعمرى لو دخل بكل جلاله ، لتفككت جميع أوصـاله ، فلا يمثل الملوك ، الا من شاركهم فى بعض السلـوك ، فلو فرضنـا انا وجدنا لدور الملك فى رفعته وبطشه ملكا أنـزلته الحـوادث من على عرشه ، فاحترف صناعة التمثيل ، فهل يكون غيره له مثيل ، وحيث لا يتم هذا المشروع ، الا بايجاد الملك المخلوع ، لننير ذلك الحلك ، ويعطينا حقيقة الملك ، وحيث لا يوجد ملك للتمثيل ، فالواجب انتقاء من يمثل هذا القبيل هذا ما يشترط فى الملك الهمام ، واما ما يشترط فى الملك المستهام ، فيجب أن يكون من الشبـان الحقيقيين ، الا من الكهول الحليقين ، فالكهل والشيخ ولو اضناهما الجوى ، وصرعهما الهوى ، وارهقهما البعاد ، واضربهما السهاد ، وأخرسهما الشجى ، واعماهما البكاء ، فهما لا يثيران عاطفة من حضر ، ولا ينزلان دمعا من بصر ، ولا يستهويان العموم ، ولو بلغت الروح الحلقوم ، اذ لا يكون حقيقة من هام ، وتجرع كاسات الغرام ، وذاق مرارة الحب ، ولفحته الصبابة ذات اللهب ، بل لسان حاله ينادى : دع الشوق ، فقد شب عمر عن الطوق ، عند هذا الحد نهض الحكيم ، وقدم للفتاة مراسم اللياقة والتسليم ، واعدا بالرجوع ، الى عين المكـان ونفس الموضـوع ٠

دنيا الشاعر

شعر : رياض المرزوقي

دنياى يا حبيبتى   زنابق ، حبق
حياتها قلوبنا   دماؤها الأرق
بحورها شعورنا   سماؤها القلق
نشدها خصامنا   ورقصها نزق
قصيدها ، من قلبها   فى جوها ، انطلق
مرتلا آياته   تالله قد صدق !
مضرجا دماءه   بحمرة الشفق
ومسبلا جفونه   ومغمض الحدق

* * *

دنياى يا حبيبتى   لواعج القلوب
بنغمة تهزنى   برقصة أذوب
فسكرة تمر بى   وسكرة تؤوب
كأننى مسيحها   كأنها الصليب !
إرعاشها عواطف   ولونها غروب
سجودها خطيئة   صلاتها ذنوب
أهديك يا خطيئتى   أنشودة النسيب

* * *

دنياى يا حبيبتى   أنشودة القدر
قيثارها قصائد   أنغامها صور
ووحيها صغيرتى   بخمرها سكر
من بعض بعض وحيه   تهامس المطر
وغمغمات نسمة   فى اغصن الشجر
وأغنيات طائر   ونشوة الزهر
تموجات رقصة   بخفقة النهر
وذكريات حبنا   ورفة الشعر
اهواك يا مليكتى   فسائلى القمر
وسائلى عواطفى   ينبئنك الخبر
اهواك يا مليكتى   وأمقت البشر

رياض المرزوقي

بريد القراء

التهرب عند ابي نواس وابي العتاهية

بقلم : محمد الشلي

ان التهرب من النفس ، لأنها غير متوازنة بطبيعتها على الدوام ، أو من مشاكل الحياة ، لأنها عويصة ، مجهدة فى كثير من الأحيان ، حقيقة عاشها ولا يزال يعيشها كل انسان .

وهو ، وان تنوعت أساليبه ، واختلفت درجاته بتنوع واختلاف سيكولوجية كل فرد من كل بيئة ، تتفق عوامله ، وبواعثه على العموم عند كل انسان .

هذا ، وقد يستأثر بمدة تطول أو تقصر حسب حياة كل فرد ؛ ولكنها قد تستأثر بجانب كبير منها ، كما هو الحال عند شاعرينا : أبو نواس وأبو العتاهية .

* * *

ان الفنانين عامة ، والشعراء خاصة يتأثرون عادة بأشياء لا يتأثر بها سواد الناس . لأن رهافة الحس عندهم ، وصفاء النفس فيهم ، وخصوبة الخيال فى عواطفهم تختزن الذكريات القديمة لمدة أطول ، وتتأثر بمجارى الواقع بصورة أقوى وتهتز لما وراء الطبيعة بحنين أشد ...

والمثال القريب الذى يحضرنى ، هو ما اشتهر به شاعرنا : ابن الرومى من التطير ؛ وما عرف عن شاعرينا : أبو نواس وأبو العتاهية من التهرب ... التهرب من الانطباعات القديمة المؤلمة ، والتأثرات الواقعية الحادة ، والخيالات الرهيبة الآتية من أعماق المجهول ...

ولاغرو فى هذا التهرب ، فقد خلقا باستعدادهما لأن يتعرضا له أكثر من غيرهما . ذلك أن الحساسية التى يتمتعان بها تعوق عادة التحكم بنزوات النفس ، والكبح لشهوات الحس ؛ وتخون دائما السيطرة التامة على الأعصاب ، والشجاعة الكافية لامتلاك الانفعالات أمام صعوبات الحياة ومسؤولياتها .

ولعل الطفولة الشقية ، المحرومة من العناية والرعاية اللازمتين انطبعت فى ذاكرتهما الغضة ، وتغلغل أثرها فى قرارتهما بشدة ؛ ثم ظل يلاحقهما الى عهد الرجولة، وهو ما فتىء يلقى ظلاله القاتمة على الحياة المثبطة للعزائم، ويزين لهما أسهل السبل ، وأقصرها للتخلص من مشاكلها وهمومها :

فأبو نواس ولد من أبوين مغمورى الأصل ، فقيرى الحال ، لا يجدان قوت يومهما الا بعسر ؛ ثم ما عتم أن مات أبوه • فعزت عندئذ أسباب العيش ، وكشر عن نابه الفقر ، واضطرت أمه الى أن تسلمه الى عطار ، يعمل عنده كأجير ، يبرى عيدان الطيب •

والحال كذلك عند أبى العتاهية • فقد ولد مغمور النسب ، يزاول أبوه الحجامة ، ويتعاطى هو وأخوه زيد بيع الفخار فى دكان صغير بالكوفة •

فطفولتهما ــ كما ترى ــ غير سعيدة ولا مطمئنة • وأكبر ظنى ، أنهما لا يقبلان العودة الى أحضانها من جديد ، أو يستبدلان بها لحظة من شبابهما •

ذلك أن الشباب عامة ، والفراغ والمال خاصة ، وصلهما بقوة بتيار واقعهما ، ومكنهما بيسر من مجاورة أهوائهما ، ومدهما بوسائل الترفيه وأسباب الترف الى حد التخنث والعبث • فأخذا يعبان من لذائذ الحياة وطيبها عبا كأنهما يريدان أن ينأيا بقدر ما يستطيعان أشباح تلك الطفولة المعذبة ، ليقيما سدا منيعا يفصلهما عن ذكرياتها الأليمة •

ولكن ، أين المفر ••• وهذا تيار الزمن يجرى بهما ولا يقف ، وهنالك على المرفأ ، هادم اللذات فاغر فاه ينتظر •• ؟

كانا اذن ، على يقين من موعد ، سيدفعان فيه ثمن هذه الأيام غاليا ؛ فشرعا فى بناء سد آخر ، سد امام الأوزار والأوضار التى جنياها من لهوهما وعبثهما فى شبابهما • ثم نظرا فى اقامة جسر يعبران به هذه البقية الباقية من عمرهما •

وهنا يدخل تأثير البيئة مرة ثانية ، تأثير مطلع العهد العباسى الذى حفل بتيارين متناقضين ، وامتاز بمجريين مختلفين : مجرى خلاعة ومجون ، وجد فيه أبو نواس ما يلائم طبعه الخفيف المرح ، فلازم الخمارات يدفن فيها همومه ؛ ومجرى زهد وتقشف ، صادف فيه أبو العتاهية ما يلائم طبعه القوى الجاد ، فلابس المساجد يفر اليها من مخاوفه •

ترى لماذا اختلف سبيل الشاعرين فى تهربهما كل هذا الاختلاف الكبير ؟
لا عجب أن يسلك أبو نواس هذا التهرب بتناسى نفسه فى الخمارات • فالشاعر كان على صباحة فى الوجه ، وبراعة فى التكوين ، وأناقة فى الهيئة تؤهله عادة لمعاشرة الناس عامة ومصاحبة المجان منهم والماجنات خاصة •

فليس بعد من المعقول ، أو من المقبول أن نتوقع من هذه النضارة ، أو تلك الصباحة أن تظل حبيسة الجدران المظلمة ، والزوايا المنسية ، لتتخلى عن هـذه المزايا الطبيعية التى يتنافس على مرآها الجذاب ، ويجد فى اصطناعهـا بكـل وسيلة شباب الحضارة الفارسية !

وفى نفسه أيضا ، ميزته الطبيعة بذوق مترف ، وحس مرهف ؛ وميـزته بشاعرية فذة ، نافرة بكل جوارحها من خشونة البادية ، وآثار البدو ، وكل ما يذكر بالقديم منها ، تواقة بكل قواها الى الأخذ من الحضـارة الفـارسية ، والانسجام مع الواقـع البغـدادى اللاهى ، والاقـدام على كل جديـد فيها ، وخاصة الخمر ٠

والخمر نفسها ظاهرة اجتماعية ، تعدى كالمرض ٠ فلا يستطيع متناولها أن يشربها بمفرده أو أن يستأثر بها فى مكان ما ، دون أن يشرك فى ذلك أصحابه المغرمين بها ، والمدمنين عليها ٠

ولذا كان أبو نواس حيثما حل وسار ، تتبعه أو تتقدمه جماعة لا بأس بها من شباب البصرة ، وخلعاء بغداد ، كان يسميها احيانا بعصابة السوء ٠ وبهذه التسمية لها ، لم ينأ بعيدا عن الواقع ؛ فعصابته حقا قد زينت له استمراره على هذا اللون من الحياة السلبية البعيدة عن المسؤوليات الكبـار كالسياسة وغيرهـا ٠

هذا فضلا ، على أن أبا نواس كان على فطرة من حضارة الفـرس ، حضارة غصت بوسائل الترف ، وزخرت بضروب شتى من ألوان الترفيه ٠ فشاع من بين هذه الوسائل وتلك الألوان الجـوارى بجانب الغناء ، والشعـراء بجانب قصور الأمراء ، والخمر بجانب الحانات ٠٠٠ رخيصة الثمن غير باهضة ، مختلفة اللون غير رتيبة ، كثيرة الاقتناء غير نادرة ٠

غير أن طبع أبى نواس الميال الى «الانبساط»، كان له الأثر الأكبر فى اختياره للخمر ، يلجأ اليها كلما تهرب من نفسه أو من مشاكل الحياة ٠

فقد كان رأس ماله الواقع ، الحاضر ٠ والخمر أكبر مساعد على غلـق بابى الماضى بذكرياته الأليمة ، والمستقبل بمخاوفه الرهيبة ، فضلا على أنها أصبحت عنده عادة مكينة ٠

فلا نستطيع بعد ، أن نتصور أن مثل أبى نواس فى خفة روحه ، وطيبـة نفسه ، ومعاشرته للناس على اختلاف طبقاتهم ، ونزعته الانسانية ، ومجاراته لحركة التطور والتجديد فى جميع أشكالها ، بما فى ذلك تغزله بالذكـور أن

يرضى بديل الحرية وانطلاقة قيدا فى رجليه ، أو بديل الحرية وأشباهها فطاما لشهواته ، كما هو الحال عند أبى العتاهية ٠

ذلك أن أبا العتاهية ، كان على طرفى نقيض من صـاحبه ، وان اتفقـا فى أسباب التهرب ، فكانت واحدة ٠ وما أشبههما فى هذه الحال بتوءمين : أسباب وجودهما واحدة ، وهى الأم ؛ وان اختلفت طريقة عيش كل واحد منهما ، وهو الأسلوب أو المذهب ٠

ولا غرو فى سلوك أبى العتاهية هذا المذهب ، فقد لاقى فى أوج شبابه ، وفى أسعد أيامه صدمات عاطفية ، كان لها الصدى البعيد فى نفسه وتصرفاته ؛ ناهيك أنها ألقت فى صدره الفتى سوء الظن بالناس ، ولونت من ثم نظرته الى الحيـاة ٠٠٠

وما ظنك بشاعر أنيق رقيق ، أحب بملء قلبه جارية جميلة تدعى عتبـة ، أغلقت دون كبريائه وابائه قلبها ، وأشاحت عنه بحبها ، وتركته يعالج عواطفه المذبوحة دون أن يجد مؤاسيا من عطفها ، أو آسيا من قربها ٠

كان لا بد لهذه الخيبة منها أن تدع فى نفسه ، وفى حسه أثـرا عميقـا لا تمحوه الأيام القليلة ، ووحشة قاسية لا تنجلى بسهولة ، وحاجة طبيعيـة الى الانزواء عن الناس ريثما يبل ، تماما كالغزال الجريح الذى يتأخر عن سربه ، ويلوذ بمغارة يضمد فيها جراحه ٠٠٠

غير أن الأمر عند أبى العتاهية تطور الى مـا يسميـه علمـاء النفس اليـوم « بالابدال » ، ابدال صفة وضيعة بأخرى سامية ؛ وهى عادة ابدال رغبة أثيمة لم تحقق بأخرى سامية مضادة ، كرد فعل للأولى ٠ ولذا كان أبو العتاهية من أكبر المخلصين الداعين الى نبذ الهوى ، والتعلق بمتع الحياة ، مما يجعله فى زمرة الأخلاقيين المتقدمين فى ذلك العصـر ٠ والأخلاقيون عـادة يكثـرون ، حيث يكثر التكالب على حطام الدنيا ، والتنافس فى زهرتها ؛ ويبرزون حيث تعم الفاقة ، وينتشر الظلم ، وتنحل القيم ٠

فلا غرو أن يتأثر هذا الشاعر المحروم من امانيه ، فينضم الى هؤلاء البؤساء المحرومين مثله من بسطاء الناس وفقرائهم ، ويتخذون معا فلسفة فى الحيـاة تعوض بوعودها ما فاتهم فى دنياهم من « طيب الحياة وريحها » ٠

ومن ثم شغف الناس بالزهاد ، وبالدعوة للزهد ، فسخر لها أبو العتاهية لسانه ، وأمدها ببيانه ، فاقبل عليه رجـال الدين وفقهاؤهم يحتفلـون به ،

ويرفعونه الى درجة الزعامة فيهم • فكان فى هذا الاقبال ، أو ذلك الاحتفال ما أرضى فيه حاجة الشعور بالتقدير والثناء وحسن الصيت •

غير أنه كان بفطرته ميالا الى «الانطواء» الانطواء على الذات،كما يدل على ذلك تزمته وتأملاته ، ومصاحبته لأصحاب الجد مثله من رجال الدين ، وحبه لذاته مثل حرصه على المال الى حد البخل فيه ، ونزعته للمثل الروحانية كاعتباره بمن مضى من القرون ، وكالتفكير فى يوم الحساب •

وليس ألزم ، ولا أوفق للرجال المنطوين بطبيعتهم على ذواتهم من الخلوات البعيدة عن الناس ، والعزلة المساعدة على التأملات ، والسكينة المقربة لعالم الروحانيات • فلا جرم بعد هذا كله ، أن يلجأ أبو العتاهية فى تهربه من نفسه أو من مشاكل الحياة الى زوايا المسجد •

* * *

يذكرنى هؤلاء الذين يتهربون من نفوسهم أو من مشاكل الحياة التى تعترضهم قصة تلك النعامة التى ضرب بها المثل فى الحماقة حتى قيل : أحمق من نعامة !

ذلك أن نعامة طلبها صياد حتى أجهدها الهرب ، وأنهكها التعب ؛ فلما تيقنت أنها لا محالة واقعة فى يد الصياد ، دفنت رأسها فى رمال الصحراء ، وظنت بعد هذه الحال أن العيون لن تراها ما دامت لا ترى هى بدورها شيئا •

وكذلك المرء منا فى تهربه • فهو يتعلق فى أهداب الوهم حتى تلهيه عن واقعه ، ويتمسك بأوهى الأسباب حتى تشغله عن مشاكله ، ويستظل بالخفاء من كل شيء ، حتى ليؤثر عدمه على وجوده فى كثير من الأحيان ، كما هو الحال فى الانتحار أو فى صدمة الحرب •

أما ما دونه درجة ، وألطف منه أثرا ، فهو يتمثل على العموم فى أحلام اليقظة ، والنوم ، وانقسام الشخصية فى حالة المرض ، الادمان على مشاهدة السينما والمسرح ، وتعاطى الكحول والمخدرات ، والتفرغ لعالم الغيب والروحانيات ، والتزام مواقف الكذب والخوف والقلق ••• وغيرها ، وكل ما يثير فينا الروح السلبية المتمثلة فى الضياع والتلاشى والاضمحلال •••

محمد الشملى
المدرسة القومية للادارة

أغنية الغفران

شعر : أحمد المختار الهادى

اغفرى لى فقد غدت أغنياتى ... عند أعتاب ذنبى المجروح
تترجى السماء تندب ليلا ... ونهارا بصوتى المبحوح
عند أبوابك الكبيرة خرت ... أمنياتى بروحها المذبوح
يا رجاء الرجاء يا كل عمرى ... يا افترارا بأفقى المفتوح
فى قفار مجهولة فى خلاء ... سرمدى يموت فيه وضوحى

* * *

أى معنى لكل عمرى اذا ما ... عشت أشقى بجمر قلبى الطعين
ثم ألقاك كل يوم جمالا ... يتسلالا بتيهه المفتون
كبرياء عظيمة من دخان ... خطوات سكرانة بالرنين

* * *

اننى غلطة تجر خطاها ... فى مطاوى الظلام اثر خطاك
أنا ذنب وأى ذنب كبير ... انما العفو أنت ليس سواك
أنا قضيت ألف يوم أصلى ... ساجدا فى معابد من ضياك

أحمد المختار الهادى

ـ المتلوى 65/12/27 ـ

الوهم الضائع

شعر : عمر حميدة

ضاع منى وهمى العارى الجميل
وتنحى عن عيونى
طيفها المضنى العليل
فوجدت النفس فى الاكوان تلهو
أينما الريح أمالتها تميل !
لم تعد تلك الخرافات المواضى
تملأ النفس أمانى
فى السماوات المديده
والاراضى
كل ما قد كان منى يوم كنا
كذبة صماء لا تكشف عنا
غير أنا فى المنام
بيننا كان الخصام
فتنحى كل ما بى
اذ بدا الأمر لأمى وصحابى !
وفشا السر الوليد
وغدت صاحبة الطيف بعيدا وبعيد
عن عيونى
فنشرت اليوم أوهامى وظنى وجنونى !

عمـر حميـدة

حنـــــين

شعر : عـامر بو ترعـة

تململت بين الضلوع ...
تهز الجناح الكسير
تريد الرجوع ...
لتمسى كما كنت قلبى أسير ...
لتمسى رمادا بذاك السعير
وتقضى ...
هنالك بين المآسى ...
وبين الوعود ...
اراك تريد الدموع ...
وانت ... تكفكف تلك الدموع ...
أما زلت بعد الذى قد رأينا ...
تنادى ... وتصرخ بين الضلوع ...
اريد حبيبى ... اريد الرجوع ...

* * *

تريد الذهاب ...
لذاك السراب ...
تحن الى ان تهزك هذى الرياح ...
وتقضى ... بدنيا العذاب ...
وتغدو ... بدون رواح ...
لدنيا التباب ...
اراك تهز الجناح ...
تحن الى ان تعيش الجراح ...
وانت تضمد تلك الجراح ...
اما تستفيق ... فقيد الصواب ...

تردد اسم الحبيب ...
كأنك ما كنت طعما ... لذاك اللهيب ...
أتنسى ... بأنك كنت المحطم ...
وتمضى ... تهز الجناح المدمدم ...
تنادى ...
ترى يا حبيبى ... كؤوس الهوى تتهشم ...
وتبكى ... وتبكى ...
تعال ... فقد ابدلتك بذاك الجديد ...
فليست بدمعك تعلم ! ! ! ...

عامر بو ترعة

— قفصة —

ردود سريعة

• « **الوهم الكبير** » شعر : **جلال الشرايطى**

لمسات فنية واعدة ، لا عيب فيها سوى بعض خلل فى الوزن وما ينقص الأفكار من الارتكاز ، فالمعانى جميلة رقيقة ولكنها تبدو مبتورة .

• « **ربيع ودموع** » شعر : **محمد الشابى**

معان فيها شعر وخيال ، ولكنها غير خاضعة للعروض ، فأضر ذلك بوقعها ونغمها . عليك بتدارك هذا الخلل .

• « **العيد** » شعر : **حمادى بو شوشة**

قصيد طويل غير موزون ، الكلام بسيط ، لا عيب فيه سوى كونه خاليا من الايحاء ، ومن شروط الشعر أن يحمل شحنة من الايحاء والوقع . ولعل تجربتك القادمة تكون أكثر توفيقا .

القارب المهجور

شعر : علي خشارم

ملقى هنا ٠٠ متمددا ، سأمان ، ما بين الصخور
من أزمن ٠٠ مثل الغراب ، وقد نأت عنه الطيور
ملقى على كتف الخليج تلوك أحداث الدهور
وتشيع النظرات محزونا الى قمم البحور
لا مؤنسا الا الرمال ، وضجة البحر القصور ٠٠
وتسابق الموجات نحو جناحك المضنى الكسير ٠
وأراك في عمق اكتئاب موحش ٠٠ دام ٠٠ مرير
متمزق الأحشاء ، مرضوضا ــ ترى تبكي المصير ــ ؟
فيثور في نفسي طنين الذكريات بلا فتور
ويعود بي فكري لعهد ٠٠ آه ، وارته الدهور
أيام كنت ٠٠ وكنت في الدنيا كشحرور صغير
قلبي وقلبك يضحكان مع الشباب المستنير ٠

تطغى الرياح ٠٠ فترقص الأمواج حولك في جنون
فيرف هيكلك المهشم بالصراع مع السنين
وتحرك الأشلاء مرتعشا ، كأن يدا حنون
ربتت عليك ٠٠ فأيقظت في روحك الثكلى حنين
وتشوقا ، للموجة العذراء يغمرها الفتون ٠٠
وتظل تضطرب اضطراب الشيخ هدته السنون
ترجو تعود لما مضى ، من عهدك الزاهي الأمين
فاذا علمت بأن ما تبغي بعيد أن يكون :
لازمت مربضك الشقي ، ولذت بالصمت الحزين ٠

مـاذا تحـدثك الليـالى المدلهمـة ٠٠ والسحـاب ؟
والنجم ٠٠ والريح المريعة ٠٠ والنسيمات الرطاب ،
والبحر ؟ يا للبحر كـم صـارعته زمـن الشبـاب !
ماذا يقول اليوم عنك ؟ وما تـرى يحكـى الغبـاب ؟
ماذا يقـول الفجر ، والشمس المشعة ، والضباب ؟
والطائر البحـرى فـوق رفـات كاهلـك المصـاب
مـاذا تـرى تخفـى جـوانحـه ؟ أراه فى اكتئـاب
كم كان بينكمـا ائتـلاف فى الذهـاب أو الايـاب !
واليوم لم تترك لك الدنيـا سـواه من الصحـاب ،
رباه ٠٠ حتى الطير يـدمى قلبـه مـر الشبـاب !

يا ليتنى أدرى مصيـرك فى غـد ٠٠ بعـد الغـروب
أيـام يغمـرنى الضبـاب المر فى صمـت رهيـب
فأكون فى منأى عن الدنيـا ٠٠ وفى كـون رحيـب
لا مرتعـا للبـؤس فيـه ، ولا لشيطـان الكـروب
وأظل منفردا هناك ٠٠ فلا بعيـد ٠٠ ولا قـريب ٠
ولسوف تهتف لى بشوق عـارم ، يـدمى القلـوب ،
لكننى أصغى ـ فتعصرنى الشجـون ـ ولا أجيب ٠

علي خشـارم
قرقنـة

من وحي الامومة

شعر : الطاهر الهمامي

علب الدواء تناثرت في ساحة البيت الحزين
خلت الديار وبات يذرعها التجهم والسكون
في وحشة خرساء يملي ما تحبره الشجون
الريح تعصف كالفناء وتمتطي تلك الحزون
والطفل يسأل والوجوه يذيبها المضض الدفين
وأشعة المصباح ترسل ضوءها الكدر الضنين
تنساب في صمت وترقص بالتأمل والحنين ...

* * *

وأغيب عن دنيا الحقيقة برهة أتخيل
فاذا باصداء الظلام ورجعها يتمثل ...
في مسمعي تتراكض الأيام كم هي تحمل ... !
وتعودني الذكرى وأخيلة تمر وتقبل
فأرى السعادة غادة وحدي بها أتعلل
ومشاعري سكرى من الحلم المعسل تنهل
أواه كم تضني الحقيقة من فتى يتجاهل !

* * *

لا شيء غير تعاسة أبدية متراكمة ... !
طفحت بها في الصمت هاتيك العيون الغائمة
وتثقلت بشجونها الاجفان تبدو نائمة

اليـأس يغلب والرجـاء يعـود يفتـح عـالمـه
وحمائم الافكار تشرد فى بحـور قاتمـة ...

* * *

أمشى وقد هتف الرفاق على الروابى والصخور
وشدت دروبى للمنى جـذلى يعانقهـا الحبـور
أمشى ... وحولى عالم متغرد ، ودنى تمـور
بالحسن تخطب فرحتى ، وتودنى طفل السرور
فأدوس أوراد الربيـع وفى فمـى لهب الزفير
أمضى وأترك للطبيعة عرسها الـداوى الكبير
لأسامر الاحـزان فى ظـل الكآبـة كالضريـر
وأنام فى كهف الرؤى ثملا بأحلام الطيور ...

الطـاهر الهمـامى

الهاربون ...

شعر : أحمد المختار الهادي

هنا ...
فى قريتى المنجمية العاملة ...
تقرع مواكب العمال كل مساء
بخطاها الحديدية الصاخبة
شوارعنا السمراء
لتمر بالهيكل الكبير
لتمر دونما أدنى اهتمام
بمعبد غريق فى بحر النسيان
وتواصل طريقها
فى ضباب النسيان ...
لتتلمظ الشفاه ...
وتقرقر البطون ...
فى مبنى مقابل تماما للكنيسه
مقابل لذلك المعبد الذى بناه المسيح
منذ آلاف السنين
بابتهالاته الراكعة
باشواقه اللاهفة
لالهه الكبير
أما ابناؤه
هنا فى قريتى
ابناء المسيح
أضاعوا حياتهم
هم يعيشون بلا تاريخ
لانهم رسموا التاريخ
رسموه على صفحات صليبهم الشامخ

ثم هربوا عنه بعيدا
الى ليلات معتمة مغلقة
وبقى معبدهم مغلقا
كالغــد
كمصير موصد مبهم
يعربد فى فضاء مجهول
لقد هربوا ... هربوا
من مصيرهم ... من أيامهم
ليدفنوا وجودهم الاخرس
فى أخدود النسيان الواسع
لقد هربوا ...
كما هرب اخوتى العمال
فى قريتى النائمة على حضن الجبل الحديدى الاجرد
من قساوة يومهم
من صخورهم الصلداء
من أغبرة فسفاطهم الكثيفة
من الارمدة الغبراء
من حياتهم العمالية الكالحة
من مصيرهم الازهر
من جبالهم الشامخة
يريدون الانحدار من الشموخ الى المنبسط السهل
كالماء ... كالسيل الذى لا يرده سد
لانهم ضاقوا بالقسوة
لانهم تاقوا الى قسوة أمر أو ألذ
حيث تتلمظ الشفاه
وتقرقر البطون
وتعود حياتهم
لتأوى الى صواب أمر من الصواب
الى نسيان أعمق من النوم الثقيل
هناك فى المبنى المنبسط

المقابل للهيكل الذى بناه المسيح
تقبع حانة قريتى السمراء
حانة قريتى الوحيده
حيث تبيع آلاف الاذرع المفتوله
جهدها للضباب الاحمر
حيث تجد السواعد الصخرية
مهربا لها
من كد الرفش والمعول
لتتلمظ الشفاه ،
وتقرقر البطون
وتقضى الكؤوس على الجهود
وتفنى القوارير الاموال والاعمار معا
فى ثانية واحدة
بكاس واحدة
فى حانة واحدة
وأمام معبد وحيد
تنتحر السواعد والاذرع والعزائم
ويهرب سكان قريتى الى اللاوجود
الى النسيان ...
الى أبد أخرس صاخب
كالمرهم الواهم
دون أن يجدوا دواء ..؟

أحمد المختار الهادى

65/12/4

الراعى اليتيم

شعر : محمد عمر الصغير

أطأ الجليد ، وفى دمى ، فى قلبى الشاكى لهيب
ومـرارة الايـام فى نفسى ، وتبريـح مـذيب
وفواجع الدهر العنـود تمـوج بالحظ الكئيب
ومدامع الدنيا بفجـر العمـر يؤذيهـا النحيب

* * *

لا زهر ، لا انغام ، فى غابى ، ولا سحر العبير
والظلمة العميا تلف السفح ، فى حزن مريـر
وثغـاء حملانى تبـدده خيـالات المصيـر

* * *

وانـا اجـود بمهجتى وانـوء بالقلب الكبيـر
والغـاب تعـروه الكآبة لا غضـارة لا خريـر
لا نور لا انسام ، لا تغريد ، لا الوادى نضير

* * *

أطأ الجليد ، وفى دمى فى قلبى الشاكى شـرر
وشياهى الحيرى امامى ، مضهـا وخـز القدر
الصخر والاشواك تضنيها ، وانـواء السحـر
لكنها مثلى ، تسير ، ولا تنى ، رغـم السهـر

محمـد الصغيـر

أصداء الفكر

• رسائل الى « الفكر » من العالم العربى :

اتصلنا من بعض أصدقائنا من الادباء فى العالم العربى برسائل تهنئة لطيفة بمناسبة مرور عشر سنوات على مجلة « الفكر » رأينا من المفيد نشر بعض مقتطفات منها مع تجديد الشكر لهؤلاء الاصدقاء الغيورين على الادب فى تونس ٠

من عيسى الناعورى (الاردن)

أخى الاستاذ محمد مزالى المحترم

٠٠٠٠ ومع خير التبريكات ببلوغ « الفكر » الزاهرة عامها الحادى عشر ٠ **أمد الله فى عمركم لتواصلوا الكفاح فى ميدان القلم والفكر بما علمناه فيكم من الايمان والاخلاص والتفانى ٠**

لقد رافقت القسم الاكبر من عمر « الفكر » ، **فكان النافذة الوحيدة التى أطل منها على نهضة الفكر فى تونس العزيزة** ، وأراقب منها نشاط القلم التونسى فى شتى مجالات ابداعه وفى مختلف أبحاث أربابه ٠ ولهذا لم أكن غريبا عن دنياكم الفكرية بل كنت بفضل صداقتكم العزيزة وبفضل مجلتكم الراقية أعيش مع أدبائكم وأقبس من وثبة فكركم المنطلق فى مجالاته الحرة الغنية ٠

فانا حين ابعث اليكم الآن بهذه التهنئة الحارة بالعام الحادى عشر لمجلة « الفكر » فانى لاحيى فيكم الطموح والعمل المثمر متمنيا ان يطول عمر الفكر بطول عمركم وان يستمر خصبها بنشاطكم لكى تظل الصلة الحية التى تربط الفكر العربى الحر المتوثب فى تونس مع ميادين الفكر العربى فى مختلف أقطاره ٠٠٠

من حسب الله الحاج يوسف (السودان)

أخى الاستاذ محمد مزالى العزيز ٠٠

احار كيف اشكرك على هذا الاهتمام الطيب الذى أثلج صدرى وسرنى كثيرا ٠ فقد وصلنى عدد ديسمبر 1965 من (الفكر) الاغر ٠ الامر الذى يتيح لى فرصة أن أؤكد حقيقة دوركم الطليعى فى تعريف شعبنا العربى فى

المشرق وفى المغرب على السواء ، بمعالم الحياة الادبية الخيرة فى (تونس الخضراء) • وان أؤكد حقيقة سبقكم التبشير بمعالم جميلة منتجة فى مستقبل مشرق لا تراه كل العيون !

تصفحت (الفكر) كلمة كلمة من الحديث الموجه (الى القارىء) حتى نهاية المقتطفات المنتزعة من السجل الذهبى للعيد العشرى • فوضح لى تماما ان (مجلتنا) ـ وما شاء الله ـ **أصبحت تتفوق على نفسها باستمرار**، فقد وجدتها ـ من غير مبالغة ـ مائدة فكرية أدبية دسمة وشهية ، تشبع وتغنى عن طعوم كثيرة غير صحية •

لقد تأملت جيدا الفقرات التى اقتطفها (ابن الرباط) من رسالة تلقاها منكم منذ بداية صدور (الفكر) حينما كنتم فى عنفوان التجربة لتبنى هذا المشروع الحضارى العظيم ، وقد كانت بحق لفتة بارعة أن تسجل هذه (التأملات) •• و (الفكر) تحتفل بعيدها العاشر !

والحق ان مشكلة المجلات الادبية التى هى من وزن (الفكر) مشكلة عصرية تعانى منها البلدان المتقدمة والمتخلفة على السواء •• وقد يصبح فيها مصير المجلات فى البلدان المتخلفة أسوأ بكثير من مصيرها فى البلدان المتطورة • ومع ذلك يطل هذا السؤال ، وهو لماذا تموت معظم المجلات الادبية فى عصر كهذا العصر الذى كثر فيه المتخصصون والكتاب والقراء وتضاعف عددهم • ؟

هذا السؤال لا بد من مناقشته على صفحات (الفكر) ، وبأقلام الذين اسهموا فى هذه البطولة المقدرة الرائعة •

أما لماذا حققت (الفكر) هذه البطولة التى تستحق التقدير ؟ فالاجابة فى تقديرى ـ **بالاضافة الى ايمانكم بدور الادب وفعالية الثقافة** ـ تكمن فى الكلمة التى قرأتها بعدد (اكتوبر) عام 1963 تحت عنوان (اصداء الفكر) •• أجل **انها تكمن فى ضمير هذا القائد العربى الذى « يعتنى بشؤون الفكر والادب »** • **وقد سجلت (الفكر) يومها أن سمو الرئيس (الحبيب بورقيبة) قد جمع ـ بمناسبة مناقشة قصة الحبيب ابراهم (عبث) « ثلة من الادباء فى قصر الرئاسة بصقانس (المنستير) ••• » لماذا ؟ لكى يشترك السيد الرئيس فى مناقشة (القصة) مع الادباء، كواحد منهم ، وبكل تواضع واحترام متبادل•**

وبعد ، اسمح لى يا أخى (مزالى) ان احييك مرة اخرى ، وان اسجل اعجابى الكبير غير المشروط ، بمجهودك العظيم ، وان أحيى (الفكر) بعيدها العاشر وأحيى جميع القائمين على اعداد مائدتها الدسمة الشهية •

والف شكر لك من

حسب الله الحاج يوسف ـ بورسودان

◆ نص القانون المتعلق بالملكية الأدبية والفنية :

صادق مجلس الأمة فى غضون شهر فيفرى المنصرم على قانون يتعلق بالملكية الأدبية والفنية وهو يمثل خطوة هامة فى طريق النهضة الفكرية اذ هو يشد أزر المنتجين فى حقول الفكر المختلفة وقد رأينا نشره لأهميته وتعميما للفائدة .

الباب الأول ــ الغرض من حق التأليف ومداه والمنتفعون به :

الفصل 1 : يشمل حق التأليف :

أ ــ كل انتاج مبتكر ، ادبيا كان او علميا او فنيا ، مهما تكن قيمته ، والوجهة التى هو معد لها ، والطريقة او الصيغة المستعملة فى التعبير عنه ومن ذلك :

1) الكتب والنشريات وغيرها من المصنفات الادبية او العلمية او الفنية ٠

2) المحاضرات ٠

3) المصنفات المبتكرة للمسرح او للاذاعة (السمعية والبصرية) سواء كانت من نوع التمثيلية التى تتخللها الموسيقى او الرقص او التمثيل الصامت٠

4) القطع الموسيقية الالية او الناطقة ٠

5) الصور الزيتية او الرسوم او المطبوعات الحجرية او النقوش المعدنية بواسطة الحامض النيتريكى او على الخشب والمنتوجات الفنية الاخرى الشبيهة بها ٠

6) النحت فى مختلف انواعه ٠

7) الانتاج المعمارى الذى يشمل فى آن واحد الرسوم والنماذج والامثلة وكذلك البناء نفسه ٠

8) المدبجات والموشيات التى تخرجها الانوال الفنية والفنون التطبيقية بما فى ذلك المشاريع والامثلة او الصناعة نفسها ٠

9) الخرائط وكذلك الرسوم والمنقولات الخطية ، ومن مادة البلاستيك ، والصور ذات الصبغة العلمية او الفنية ٠

10) المصنفات السينمائية وما شابهها فى نظر هذا القانون من المصنفات التى تسلك مسلك السينما فى التعبير البصرى ٠

11) مصنفات التصوير الشمسى وما شابهها فى نظر هذا القانون من المصنفات التى تسلك مسلك التصوير الشمسى ٠

12) المترجمات والتحويرات والاقتباسات التابعة للمصنفات الآنف ذكرها ٠

13) المصنفات المستوحاة من الفنون الشعبية ٠

ب ــ عنوان المصنف ·

الفصل 2 : يشتمل حق التاليف على الحق الذى ينفرد به صاحبه دون سواه فى خصوص القيام باحد الاعمال الآتى بيانها او فى الترخيص بذلك العمل :

1) نقل المصنف فى صيغة مادية ايا كان نوعها بما فى ذلك الاشرطة السينمائية والمسجلات الصوتية ·

2) عرض المصنف على العموم فى صورة تمثيل او عزف او اذاعة سمعية ·

3) عرض المصنف المذاع عن طريق الاذاعة على العموم بواسطة سلك او مضخم للصوت او اية اداة اخرى ناقلة للعلامات او للاصوات او للصور ·

4) ترجمة المصنف او اقتباس مصنف آخر منه مهما كان نوعه والمراد بالمصنف فى مفهوم هذا القانون هو التاليف فى صيغته الاصلية وكذلك فى الصيغة المشتقة من الاصل ·

الفصل 3 : يعتبر مؤلفا للمصنف من اذيع ذلك المصنف باسمه ما لم يؤت بحجة تخالف ذلك ·

على انه ــ وباستثناء ما جاء به الفصل 21 اسفله ــ اذا قام بالانتاج اشخاص تابعون لذات معنوية فى نطاق عمل ادارى لفائدة الذات المذكورة ، فان حق التأليف يبقى دوما تابعا للمؤلف ما لم يقع التنصيص على خلاف ذلك بمقتضى عقد مبرم بين الطرفين ·

الفصل 4 : يعتبر المصنف عملا مشتركا اذا اشترك فى ابرازه شخصان او عدة اشخاص وتعذر بيان نصيب كل منهم فى المشروع ·

ويعتبر المصنف عملا مركبا اذا اقحم فيه مصنف سبقه بدون مشاركة صاحب المصنف الاول ·

ويعتبر المصنف عملا جماعيا اذا برز لحيز الوجود بسعى من شخص أو من ذات معنوية تتولى نشره تحت ادارتها وباسمها وكانت مشاركة مختلف المؤلفين الذين شاركوا فى اعداده مندمجة فى جملة ما يهدف اليه بدون ان يمكن اسناد حق منفصل لكل منهم فى جملة ما تم انجازه ·

الفصل 5 : يتمتع اصحاب الترجمات او الاقتباسات او التغييرات او التحويرات للمصنفات الادبية او العلمية او الفنية بالحماية التى اقتضاها هذا القانون بدون ان تهضم حقوق المؤلف الاصلى ·

وتلك هى صورة الحال بالنسبة الى مؤلفى المنتخبات او المجموعات من مختلف المصنفات التى يتالف منها انتاج فكرى باعتبار اختيار المواضيع وعرضها ·

الفصل 6 : 1) الفنون الشعبية جزء لا يتجزأ من التراث القومي ٠

2) باستثناء الاشخاص المعنوية العمومية القومية ، فان تدوين الفنون الشعبية بصورة مباشرة او غير مباشرة قصد استغلالها ماديا ، يتوقف على رخصة من الادارة المكلفة بالشؤون الثقافية ٠ ولهذه الادارة ان تشترط في ذلك قبض معلوم وفق شروط يضبطها امر ٠

3) لا تجوز احالة كل او بعض من حق تأليف مستوحى من الفنون الشعبية او رخصة خاصة لاستغلال مثل ذلك التأليف الا بموافقة الادارة المكلفة بالشؤون الثقافية ٠

وفي مفهوم هذا القانون يعتبر تأليفا (مستوحى من الفنون الشعبية) كل تأليف ركبت اجزاؤه من عناصر مستمدة من التراث الثقافي التقليدي للجمهورية التونسية ٠

الفصل 7 : ينبغي ان يذكر اسم المؤلف بكل نسخة تتضمن نقل محتوى المصنف كلما اعد للعموم الا اذا وقع التنصيص على ما يخالف ذلك ٠ وذلك وفق ما يقتضيه العرف السليم ٠

ولا يجوز ادخال اى تغيير على المصنف بدون موافقة صاحبه كتابيا ٠ ولا حق لاحد في ان يعرض على العموم مصنفا منقولا عن الغير في صيغة او ظروف يغبن بها حق المؤلف ٠

الباب الثاني ـ في تحديد حقوق المؤلف :

الفصل 8 : اذا اصبح المصنف تحت طلب العموم بصورة شرعية فلا حق لصاحبه في ان يمنع :

1) كل ما يتعلق باتصال العموم به سواء بعرضه او بعزفه او اذاعته :
أ ـ اذا كان ذلك الاتصال في محيط خاص وبدون مقابل ٠
ب ـ اذا كان ذلك العرض مجانا ولاغراض تربوية او مدرسية ٠

2) النقل او الترجمة او الاقتباس المعد جميعها لاستعمال شخصي بحت ٠

على انه في خصوص العروض المسرحية مجانيه كانت او بمقابل يتعين على المنظمين ان يعلموا بذلك مسبقا المؤلف او اصحاب الحق او المنظمة المنصوص عليها بالفصل 31 من هذا القانون ٠

الفصل 9 : يسمح بالاستشهادات والانقال المقتبسة من مصنف سبق وضعه تحت طلب العموم بشرط ان تتماشى والعرف السليم وبقدر ما يبررها تحقيق غرض علمي او نقدي او تعليمي او اخباري ٠ ويدخل في ذلك ما تشتمل عليه المعارض الصحفية من استشهادات وانقال مقتبسة من نشريات دورية ٠

ويجوز استعمال تلك الاستشهادات او الانقال فى صيغتها الاصلية او منقولة الى لغة اخرى وينبغى ذكر المصدر المنقولة عنه واسم المؤلف اذا كان هذا الاسم مدرجا فى المصدر ·

الفصل 10 : وتباح ايضا التسجيلات واعادة التسجيلات السمعية او السمعية والبصرية لمصنفات ادبية او علمية او فنية سبقت اذاعتها اذا كانت هذه التسجيلات او اعادتها لاغراض مدرسية ·

الفصل 11 : يمكن للادارة المكلفة بالشؤون الثقافية ان ترخص عند الحاجة للمكتبات العمومية ولمراكز جمع الوثائق غير التجارية وللمؤسسات العلمية ولمعاهد التعليم نقل المصنفات الادبية او العلمية او الفنية فى حدود ما يحتاج اليه نشاطها وذلك مقابل اجر عادل تعينه اللجنة المنصوص عليها بالفصل 32 من هذا القانون ان لم يحصل اتفاق بالتراضى على ذلك بين الطرفين·

الفصل 12 : اذا لم يقع النص صراحة على حفظ حق النقل لصاحبه فان فصول الاحداث اليومية المتعلقة بالسياسة او الاجتماع او الاقتصاد يمكن ان تنقلها الصحافة او الاذاعة ·

بيد انه ينبغى دائما ذكر المصدر الماخوذ عنه ·

الفصل 13 : بمناسبة الاخبار عن حدث يومى بواسطة التصوير الشمسى او السينمائى او بواسطة الاذاعة السمعية او البصرية يباح تسجيل ونقل واذاعة المصنفات الادبية أو العلمية أو الفنية التى من شانها ان ترى أو تسمع اثناء الحدث الآنف ذكره لكن فى حدود ما يبرره الغرض الاخبارى المراد الوصول اليه ·

الفصل 14: يسمح بنقل مصنفات الفن التصويرى والفن المعمارى الموضوعة بصورة مستمرة فى مكان عمومى وذلك لحاجة السينما أو التلفزة أو لعرضها على العموم بشرط ان تكون صبغة اقحامها فى الشريط السينمائى أو فى حصة التلفزة عرضية أو ثانوية بالنسبة الى الموضوع الاصلى ·

الفصل 15 : يسمح بعرض المصنفات التى انشأتها الاذاعة والتلفزة التونسية بوسائلها ولحصصها الخاصة · على انه بعد انقضاء سنة لا يمكن للاذاعة والتلفزة التونسية استعمالها الا برخصة جديدة وذلك فى صورة عدم وجود عقدة يحيل بمقتضاها المؤلف الى الاذاعة والتلفزة حق استغلال مصنفه·

ويتعين حفظ نسخة من كل ما تسجله الاذاعة من تسجيلات ذات صبغة ثقافية فى الخزينة الرسمية المخصصة لذلك من طرف الادارة المكلفة بالشؤون الثقافية وتضبط الانواع التى ينبغى حفظها بقرار من كاتب الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ·

الفصل 16 : يسمح بالاعمال المشار اليها بالفقرتين 2 و 3 من الفصل 2 اعلاه

والمتعلقة بمصنفات سبق ان وضعت بصورة شرعية تحت طلب العموم اذا كان المؤلف لا تمثله منظمة المؤلفين المشار اليها بالفصل 31 اسفله ٠

بيد انه لا يجوز في هذه الصورة النيل من الحقوق المعترف بها للمؤلف بمقتضى الفصل 7 ولا من الحق الذى يملكه المؤلف في احرازه مقابلا عادلا تعينه اللجنة المنصوص عليها بالفصل 32 اسفله ان لم يحصل اتفاق بالتراضي بين الطرفين ٠

الباب الثالث ـ احالة حق التأليف :

الفصل 17 : تعتبر ملغاة الاحالة الجملية للمصنفات التى لم تنجز بعد ما لم تكن هذه الاحالة لفائدة هياة المؤلفين المشار اليها بالفصل 31 اسفله ٠

واذا احيل حق التأليف لفائدة الدولة بطريق الوراثة فان ذلك الحق يعتبر محالا لمنظمة المؤلفين المشار اليها بالفصل 31 من هذا القانون ويخصص ريعه لمشاريع اجتماعية هذا ما عدا ما يخص حقوق الغرماء وما يقتضيه تنفيذ عقود الاحالة التى قد تكون ابرمها المؤلف او من آل اليهم حقه ٠

ولمؤلفى المصنفات الكتابية والصور التشكيلية حق المشاركة بصورة قارة فى حصول كل بيع لمصنفاتهم يقع بواسطة المزاد العلنى أو على يد تاجر بقطع النظر عن كل احالة للمصنف الاصلى ٠ وبعد وفاة المؤلف يستمر هذا الحق قائما اثناء السنة الشمسية الجارية والخمسين سنة الموالية ٠ ويخصص للمؤلف او لورثته خمسة فى المائة من محصول البيع ٠

الفصل 18 : ان احالة حق عرض مصنف على العموم لا تشمل حق نقله وكذلك العكس ٠

الفصل 19 : ان احالة النسخة الوحيدة او نسخة او عدة نسخ من المصنف لا تقتضى احالة حق التأليف ٠

الفصل 20 : ان الرخصة فى اذاعة المصنف بواسطة المذياع تشمل عموم ما تقرره الاذاعة والتلفزة التونسية من حصص اذاعية فى هذا الصدد بوسائلها الخاصة وتحت مسؤوليتها ، الا اذا جاء العقد المبرم بين المؤلف وادارة الاذاعة بما يخالف ذلك ٠

الباب الرابع ـ المصنفات السينمائية :

الفصل 21 : فى خصوص المصنفات التلفزية والسينمائية يرجع حق التأليف الى المنتج ٠

والمنتج لمصنف سينمائى هو الشخص المادى أو الشخص المعنوى الذى يعزى اليه استنباط الانتاج والذى يتحمل مسؤولية استغلاله ٠

الفصل 22 : على المنتج ان يبرم العقود مع جميع الذين يعتمد مصنفاتهم لانجاز ما يعتزم انتاجه وذلك قبل الشروع في انتاج الشريط السينمائي ٠

وتقتضي هذه العقود احالة حق الاستغلال لفائدة المنتج خاصة ما لم يكن ثمة شرط يخالف ذلك باستثناء العقود التي تبرم مع مؤلفي المصنفات الموسيقية الناطقة او الالية ٠

الفصل 23 : يعتبر المصنف السينمائي جاهزا حالما تنجز منه النسخة التي يتفق المنتج والمخرج على انها (النسخة الاصلية) ٠

والمخرج لمصنف سينمائي هو الشخص المادي الذي يتولى ادارة الانتاج ويتحمل المسؤولية الفنية في تحويل اجزاء المصنف السينمائي الى صور واصوات وكذلك في تركيبه النهائي ٠

الفصل 24 : اذا رفض احد المشاركين في الانتاج السينمائي اتمام مساهمته فيه او عجز عن ذلك بسبب قوة قاهرة فلا حق له في الاعتراض على استعمال الجزء الذي ساهم في انجازه قصد اتمام الانتاج ٠

وللمشاركين في مشروع سينمائي ان يتصرفوا بصفة حرة فيما ساهموا به شخصيا قصد استغلاله في ميدان غير الذي وقع الاتفاق عليه من قبل الا اذا سبق التنصيص على ما يخالف ذلك وبشرط ان لا يؤدي ذلك الى الاضرار باستغلال الانتاج الذي شاركوا فيه ٠

الباب الخامس ـ في التعاقد على نشر المصنفات الكتابية :

الفصل 25 : المراد بعقد النشر للمصنفات الكتابية هو العقد الذي يحيل بمقتضاه المؤلف أو من يحل محله حسب شروط معينة الحق للناشر في ان يصنع بنفسه او بواسطة الغير عددا معينا من النسخ من المصنف على ان يتولى الناشر نفسه عمليتي النشر والتوزيع ٠

وينبغي ان يكون هذا العقد مكتوبا والا اعتبر ملغى ٠

الفصل 26 : ينبغي ان ينص العقد على منح الناشر للمؤلف او من يحل محله مقابلا يكون على نسبة محاصيل الاستغلال او ان ينص العقد على ما يخالف ذلك ٠

الفصل 27 : على الناشر ان يقدم للمؤلف كل المؤيدات المثبتة لصحة حساباته ٠

ومن حق المؤلف ان يطلب من الناشر مرة في السنة على اقل تقدير تقديم قائمة تتضمن :

أ) عدد النسخ المخرجة اثناء السنة مع توضيح تاريخ الطبعات واهميتها ٠

ب) عدد النسخ المدخرة ·

ج) عدد النسخ التى تولى الناشر بيعها وعدد النسخ غير المستعملة او التى انعدمت تبعا لاحوال عارضة او بسبب قوة قاهرة ·

د) بيان المبالغ الراجعة للمؤلف وما دفع له منها عند الاقتضاء ·

وكل شرط مخالف لما تقدم لا يعتد به وان وقع التنصيص عليه ·

الفصل 28 : يمكن للمؤلف او من يحل محله فسخ عقد النشر بقطع النظر عن الصور المنصوص عليها فى الحق العام اذا لم يباشر الناشر نشر المصنف او اعادة نشره فى صورة نفاد نسخه وذلك بعد ابلاغه انذارا يضرب له فيه اجل يمكنه عرفا من الوفاء بما تعهد به ·

وتعتبر الطبعة نافدة اذا قدم مطلبان للناشر للاتصال بنسخ منها ولم يلبهما فى بحر ثلاثة اشهر ·

الباب السادس ــ مدة الضمان :

الفصل 29 : ان حق التأليف يدوم مدى حياة المؤلف ويستمر خلال خمسين سنة شمسية ابتداء من نهاية السنة التى توفى فيها او من التاريخ الذى تضمنه الحكم المعلم بوفاته فى صورة تغيبه او فقده ·

وفى صورة ما اذا كان المصنف عملا مشتركا فان حساب هذه المدة يؤخذ من تاريخ وفاة آخر المؤلفين المشاركين فيه او من التاريخ الذى تضمنه الحكم المعلم بوفاته فى صورة تغيبه او فقده ·

الفصل 30 : لا يدوم حق التأليف الا خمسين سنة شمسية ابتداء من موفى السنة التى يكون فيها المصنف قد وضع بصورة شرعية تحت طلب العموم :

1) فى صورة مصنفات التصوير الشمسى او السينمائى ·

2) فى صورة ما اذا كانت المصنفات مجهولة المؤلف او نشرت باسماء مستعارة ما بقى صاحب المصنف مجهولا ·

الباب السابع ــ القيام بحق التأليف :

الفصل 31 : ان رعاية حقوق المؤلفين والملحنين وكذلك الدفاع عن مصالحهم المادية والمعنوية يناطان بمقتضى امر بعهدة منظمة من المؤلفين والملحنين لها وحدها حق العمل بتراب الجمهورية التونسية وتكون لهذه المنظمة وحدها ودون اى شخص مادى او ذات معنوية سواها صفة القيام بالوساطة بين المؤلف او ورثته وبين المستغلين لمصنفاته او بين الجمعيات المتألفة من اولئك المستغلين وذلك سواء لتسليم الرخص او لاستخلاص المعاليم المتعلقة بها ·

وتحل هذه المنظمة وجوبا وبدون نزاع محل اية جمعية اخرى للمؤلفين

والملحنين لتنفيذ العقود المبرمة مع المستغلين أو مع جمعيات المستغلين والتى لا تزال جارية بتراب الجمهورية التونسية ٠

وهى تباشر علاوة على ذلك تمثيل اعضائها او جمعيات المؤلفين الاجنبية او اعضاء هذه الأخيرة ازاء مستغلى المصنفات سواء كان هذا التمثيل بموجب تفويض أو نتيجة اتفاق متبادل ٠

وتشرف على هذه المنظمة الادارة المكلفة بالشؤون الثقافية ٠

الفصل 32 : احدثت لجنة مكلفة بالبت فى الخلافات التى يمكن ان تقوم بين منظمة المؤلفين والملحنين المشار اليها بالفصل 31 وبين الاشخاص الماديين والمعنويين الراغبين فى الحصول على الرخص اللازمة لاستغلال المصنفات المرسمة فى دفترها ٠

ويجوز لهذه اللجنة ان تمنح الرخص المتحدث عنها اذا تبين انها قد رفضت بصورة تعسفية ولها ان تدخل تغييرا على البنود والشروط التى يتضح لها انها مجحفة ٠

وتصدر الادارة المكلفة بالشؤون الثقافية قرارا يضبط تركيب اللجنة المذكورة وطريقة عملها ٠

الباب الثامن ـ الاجراءات والعقوبات :

الفصل 33 : يحجر توريد نسخ من اى مصنف كان لتراب الجمهورية التونسية اذا كان فى ذلك التوريد خرق لحقوق التاليف وفقا لمفهوم هذا القانون ٠

الفصل 34 : كل من يعتدى على حق التاليف المعترف به بالنسبة الى كل مصنف شملته حماية هذا القانون يكون ملزما بدفع غرم ضرر لصاحب ذلك الحق تتولى المحكمة ذات النظر تعيين مبلغه ٠

الفصل 35 : كل من يرتكب عمدا أو يسمح بارتكاب عمل ايا كان نوعه يهدف الى مخالفة احكام هذا القانون تسلط عليه عقوبة مالية تتراوح بين 20 و 200 دينار ٠

وفى صورة التكرار ترتفع العقوبة الى مقدار يتراوح بين 40 دينارا و 400 دينار ويضاف اليها عقاب بالسجن يتراوح بين شهر وستة اشهر ٠

ويثبت التكرار اذا كان المعتدى قد سبق الحكم عليه عن مخالفة مماثلة فى خلال الاعوام الخمسة التى سبقت العمل المعاقب من اجله ٠

الفصل 36 : يمكن للمحكمة ذات النظر ان تاذن عند الاقتضاء وبطلب من المؤلف بحجز النسخ التى هى موضوع مخالفة حق التأليف أو انتهاك حرمته او بمصادرتها او باعدامها كما ان لها ان تتخذ ما تراه صالحا من الاجراءات الاخرى ٠

الباب التاسع ـ ميدان تطبيق القانون :

الفصل 37 : ينطبق هذا القانون على جميع المصنفات التى لم تدخل عند ابتداء العمل به الى ميدان الملك العام .

وينطبق هذا القانون خاصة

1 ـ على جميع المصنفات التى يكون صاحب الحق الاصلي لتأليفها عند بروز مصنفه راجعا بالنظر الى الجمهورية التونسية أو مقيما بتراب الجمهورية التونسية أو لا وطن له أو لاجئا نه فيها مقره العادى اذا كان الامر يتعلق بشخص مادى .

2 ـ على المصنفات المنشورة لاول مرة بتراب الجمهورية التونسية او المنشورة بهذا التراب خلال الثلاثين يوما الموالية للنشر الاول فى بلاد اجنبية.

3 ـ على اشغال الفن المعمارى المقامة بتراب الجمهورية التونسية وعلى كل عمل فنى مندمج فى بناية قائمة بتراب الجمورية التونسية .

واذا كان الامر يتعلق بعمل مشترك فانه يكفى لتطبيق هذا القانون ان يكون واحد فقط من المشاركين فى العمل قد توفرت فيه الشروط المقررة بالفقرة الاولى من المادة الثانية من هذا الفصل .

الفصل 38 : ان المصنفات التى لا تدخل فى احد الاصناف المشار اليها اعلاه لا تتمتع بالحماية التى اقتضاها هذا القانون الا على شرط ان يكون البلد التابع له اصلا صاحب حق التأليف او المستقر به يمنح حماية مماثلة لمصنفات الراجعين بالنظر الى الدولة التونسية .

وتتولى الادارة المكلفة بالشؤون الثقافية تعيين البلاد التى يتوفر فيها هذا الشرط .

الباب العاشر ـ احكام مختلفة :

الفصل 39 : تكلف المنظمة المشار اليها بالفصل 31 من هذا القانون بفتح مذاكرات مع الجمعيات الاجنبية للمؤلفين التى يهمها الامر وذلك :

ا) للحصول على احالة انخراط المؤلفين الراجعين بالنظر الى الدولة التونسية .

ب) لصيانة الامتيازات الاجتماعية التى احرز عليها المؤلفون لدى الجمعيات المذكورة من قبل ان يحال انخراطهم بسعى من المنظمة الآنف ذكرها .

ج) لابرام اتفاقات التبادل مع الجمعيات الاجنبية للمؤلفين فى اجل قدره عام قصد التمثيل والادارة بطريق التبادل للمصنفات المرسمة بدفاترها فى تراب اوطانها المتقابلة .

الفصل 40 : الغيت جميع الاحكام السابقة المخالفة لاحكام هذا القانون وخاصة القانون المؤرخ فى 15 جوان 1889 المتعلق بالملكية الادبية والفنية والامر المؤرخ فى 6 جانفى 1944 المتعلق بـ « المكتب الافريقى لرجال الادب ومؤلفى المحاضرات » و « بالمكتب الافريقى لحقوق التأليف » .

◆ **حقـــوق المؤلف :**

عقدت اللجنة الحكومية لحقوق المؤلف التى انشئت بموجب الاتفاق العالمى عن حقوق المؤلف ، دورتها العادية الثامنة فى مقر اليونسكو بباريس من 15 الى 18 نوفمبر 1965 وقد تضمن جدول الاعمال بصورة خاصة مسألة اعادة النظر فى الاتفاق العالمى ، مراعاة للمشاكل المتعلقة بالبلاد التى حصلت على استقلالها حديثا او السائرة فى طريق التنمية .

◆ **اتحـاد الناشرين الدولى :**

عقد الفريق التربوىالتابع لاتحاد الناشرين الدولى، اجتماعا فى فرانكفورت (بجمهورية المانيا الاتحادية) بمناسبة المهرجان الدولى للكتاب . واشترك فى هذا الاجتماع بعض الناشرين الوافدين من 21 بلدا من بينها لاول مرة بولنده والجمهورية العربية المتحدة وتشيكوسلوفاكيا .

وهذا الفريق الذى يهتم بالكتب المدرسية يقوم فى الوقت نفسه باعانة النشر فى البلاد السائرة فى طريق التنمية . ويعمل الفريق بالتعاون الوثيق مع اليونسكو على اعداد مؤتمر ترقية الكتاب فى بلاد آسيا ، وهو المؤتمر الذى سينعقد فى طوكيو خلال شهر مايو (ايار) 1966 والذى ستتبعه مؤتمرات مماثلة فى بقية المناطق السائرة فى طريق التنمية .

وسيعقد المؤتمر الدولى للناشرين الذى تأسس فى عام 1896 ، مؤتمره المقبل فى امستردام خلال عام 1968 و (وينعقد هذا المؤتمر مرة كل ثلاث سنوات) .

◆ **اوردت صحيفة الجريدة مقالا للاستاذ خليل باز يتحدث فيه عن الحركة الادبية المعاصرة وجمودها بتاريخ 66/1/9 قال فيه :**

لما كان الادب مادة حسنى ، عقت المادة ، وبات الاديب المعاصر ، فى حيرة كيف يصلح بين هذه وتلك . وراح الروائى يطبع قصصه ، راجيا بيعها فى المكاتب العامة وتقدم المسرحى بموضوع طبعه تحت اسم « مسرحية من ثلاثة فصول » ، يلعبها نخبة خاضعة بافراد او مجموعة معينة من الحضور . وجاء الفنان لاجئا الى الثانى يصلى له فى ان يشفع رسومه مع تلك المطبوعة التى لعبتها النخبة .

وبعد ان يظن المسرحى انه قد صالح بين المادة الحسنى والمادة المفهومة فى تحصيل بعض دريهمات تقاضاها من جراء ذلك لا يسعه والحالة هذه الا ان يكبر دوحة المادتين ويهرول مسرعا لايجاد نخبة اخرى تكون من اقصوصته عرضا سينمائيا كبيرا فينتهى فى ظنه انه قد وضع المادتين الآنفتى الذكر ،

وصالح بينهما • وبعدئذ يقابله الاديب الناقد بواسطة جهاز اذاعى ربما الراديو او الكتاب ، او الامتثال امام مجموعة كبرى من الناس فى مناسبة يخطب بينهم ضاربا كشحا عن ماهية الخطابة على انها محادثة اخبارية توجيهية تتقيد بأصول فى الخبر والتوجيه نفسه توصل بالسامع الى نتيجة •

. فالاديب كائن انسانى يحب الحياة ويريدها، يعطى نتاجا، على امل الاستمرار لفترات طويلة ، ولكونه يحتاج الى المادة ، يجب ان يخلق مناخا له ولغيره من الناس غير ذلك المناخ ، الذى أوجده اديب آخر نظيره•

فالحياة الادبية اللبنانية والعربية ، والعالمية اثنتان مرتزقة وذوقية ، ورب هذه الفئة المرتزقة تكون طاقة مادية عظيمة، وتنعكس على نفسها فتصبح ذوقية مجردة تكيف أذواق المجتمعات بغية مساعداتهم لتذوق لذة حياة • ومن هنا تنحدر هذه الملاحظة ، فاذا جبنا مراكز الدور الثقافية فى لبنان من مدرسة وصحيفة واذاعة ومسرح نراها مطرودة من مدارس النقد الذى أخذ حصته الكبيرة من الادب ، فهذه الدور التى قلنا انها اجهزة ثقافية تسرع رأسا لارضاء خواطر هذه المدارس النقدية ، زاعمة انها تنتمى اليها بمذهب • لنأخذ مثلا المذهب السريالى ، فسعيد عقل بكلمنا بالارقام وهذه مادة تخلى عنها الادب الصحيح ، وبشاره الخورى عندل فى شعره طويلا ولم يحفظ توازن المادتين اللتين هما اساس موضوعنا فلم يجن من شعره طالبا ولم يعتمده روتين تربوى ، فقط انه كيف مجتمعات فى مناسبات خاصة وعامة فى صناعته العظيمة •

ومع المذهب النتورالى لم نجد فى يومنا هذا فردا يروج أدبه فى هذا المفهوم فنرى معطياته تتسم بوشاح الاصطناعية لغة ومعنى واستعارة وتشبيها• ان السريالية والنتورالية وفى المذهب السمبولى نرى ايضا تلك العناصر الغابرة والحضارة متنحية عنه فالرموز للاشارة ورب اشارة تتجاوز مراحل الفهم ، فيأتى الشاعر ويحطها فى منطق واصول معقول وملموس تدعه بعيدا عن طائفته لقد كانت النهضة اللبنانية موضوعا للنقاد العرب والمستشرقين منذ امد بعيد ، فالحوار الفكرى بلغ من اهتمام الكتاب اقصى حدود النمو البناء ولكنه عاد الى الانقطاع • فاذا بالمدارس الفكرية والادبية التى مر ذكرها تتولد من جراء هذا الحوار ، تساعدها تجربات ومعاناة على جهات مختلفة فى مناخات اجتماعية متعددة فتلبس اشكال تارة يمجها الناس وطورا يقبلون بها، فمن أبى شبكة والاخطل الصغير وعمر أبى ريشه ويوسف غصوب الى يوسف الخال وادونيس والحيدرى والسياب لمعت فى افاق النهضة الادبية انوار اضاءت قليلا سماء الفكر العربى ثم احتجبت عن التألق •

واليوم اذ يلتفت القارىء الى المكتبة العربية فلا يجذب عقله كتاب مثمرخلاق• نعم لقد حفلت بلدان المشرق العربى فى السنوات الاخيرة بمهرجانات للفكر فالقى كبار الشعراء روائع انتاجهم فى تكريم الاخطل والملاط والامام الاوزاعى

وغيرهم في لبنان ، وفي مصر انشئت روابط وجمعيات للعمل الثقافي والادبي ، وكذلك في سوريا والعراق ، الا ان هذه الحركات الناشطة لم تكن ترم الى تركيز مخطط فكري واع يدرس ناظرا أسباب ذلك التهدم المريع في أدابنا ، فتبنى بعد ذلك اسس الانطلاقة الكبرى للحياة الفكرية والفنية والادبية المعاصرة • ان هذا الفراغ الذي يعيشه أدبنا اليوم والاديب الذي يقبع متهاويا في دوامة القلق والبحران مرده التفات انساننا الى ناح المادة الخالصة وتراجعه رويدا رويدا عن قيم الروح التي لا بقاء ولا حياة للادب بدونها •

وارد عوامل هذا الجفاف في حياتنا الادبية الى المشكلات الرئيسية المرتبطة بواقعنا الحضاري والاجتماعي المفضل اللابس قناع غيره ، الفاقد جوهره الاصيل •

فاديب هذه الايام يعزف دائما عن وصف حقيقته وواقعه فلا يشعر شعور الواقع الذي يحياه ،ويهتم بتحليل واقع غيره فلا يؤتي لعمله فائدة جلي •

قال الدكتور طه حسين للمرحوم صلاح لبكي منذ خمس سنوات : « اقول مؤمنا ان الحركة الادبية انتقلت زعامتها من القاهرة الى بيروت » ترى ماذا يقول الدكتور اليوم ؟ بعدما غرب مارون عبود كافل النقد المعاصر ولزم الاخطل ايامه الاخيرة منقطعا عن النظم وختم سعيد عقل تحليقه الشعري برندلى وانتشى يوسف غصوب من الاغباط وغرق أبوريشة في متاعب السياسة ونسي انه والخلود على ميعاد وانقطاع سليم حيدر عن التهويم والرفرفة وتبدد شمل « خميس مجلة شعر » وسكت بدوي الجبل عن التغريد واكتفى انطون قازان ببعض الوان الجمال ومثله امين نخله ومات الشباب الى الابد ؟

◆ **التحقيقات المعدة بحتمية ضم « جيم » جدة :**

ورد علينا أخيرا كتاب التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة للأساتذة عبد القدوس الأنصاري وعبد الفتاح أبي مدين وأبي تراب الظاهري وقد أصدر هذا المؤلف مجلة « المنهل » التي أنشئت بالمدينة المنورة سنة 1937 والصادرة بمكة المكرمة •

◆ **محاكمة كاتبين روسيين :**

سلطت المحكمة السوفياتية العليا خلال شهر فيفري المنصرم حكمها بسبعة اعوام سجنا على الكاتب « اندري سينيا فسكي » وبخمسة اعوام على زميله « يولي دانيال » اللذين اتهما بنشر مؤلفات في الخارج ، تحت اسم مستعار ، تنال من سمعة روسيا • وقد أثار هذا الحكم القاسي موجة استنكار قوية ظهرت لا في الأوساط المنعوتة « بالبورجوازية » فحسب بل وبصفة أخص في الاوساط الشيوعية العالمية التي تؤمن بحرية الخلق الفني وبأصالة الكاتب •

◆ **رصدت بلدية بنزرت جائزة :** قدرها 200 دينار تمنح لمن يقدم قبل يوم 15 مارس المقبل احسن دراسة تاريخية تتعلق بمدينة بنزرت وضواحيها في العهد الاسلامي •

◆ ندوة وزراء التربية والتعليم للمغرب العربى الكبير :

نظرا لأهمية الندوة التى انعقدت فى هذه الأيام الأخيرة بتونس نورد البلاغ المشترك الذى توجت به الاجتماعات بين المسؤولين على حظوظ التعليم فى المغرب العربى الكبير (راجع فى الصفحة الأولى : الى القارىء) .

اجتمعت بتونس من 4 الى 7 فيفري 1966 الندوة الأولى لوزراء التربية والتعليم ببلدان المغرب العربى الكبير ٠

وقد مثل فيها حكوماتهم :

- معالى السيد الطاهر باكير وزير التربية والتعليم بالمملكة الليبية ٠
- معالى السيد أحمد طالب وزير التربية الوطنية بالجمهورية الجزائرية الديموقراطية والشعبية ٠
- معالى السيد الناصر الفاسى نائب كاتب الدولة بوزارة التربية الوطنية بالمملكة المغربية ٠
- معالى السيد محمود المسعدى كاتب الدولة للتربية القومية بالجمهورية التونسية ٠

وبعد ان انتخبت الندوة معالى السيد محمود المسعدى رئيسا لها صادقت على جدول اعمالها المشتمل على النقط التالية :

1 – تبادل المعلومات عن الانجازات التى انجزها والتجارب التى اجراها ويجريها كل بلد من بلدان المغرب العربى الكبير فى ميادين التربية والتعليم منذ الاستقلال ٠

2 – احداث هيئة استشارية مشتركة للاتصال والتعاون المغربى فى ميادين التربية والتعليم ٠

3 – معلمو التعليم الابتدائى وطرق تكوينهم وتحقيق كفاءتهم الصناعية ٠

4 – مبدأ عقد اجتماعات دورية لندوة وزراء التربية والتعليم فى بلدان المغرب العربى الكبير ٠

وعلى اثر ذلك تناولت الندوة نقط جدول الاعمال بالبحث وبتبادل المعلومات والاراء فى نطاق الجلسة العامة وفى نطاق اللجان المنبثقة عنها ٠

وان الندوة اذ تسجل فى خاتمة اشغالها بكامل الارتياح ان مداولتها افضت الى النتائج الايجابية التى اثبتتها فى وثيقة محضر مقرراتها لهى فخورة بان تسجل فى نفس الوقت ٠

اولا – ان انعقادها يمثل خطوة أخرى فى سبيل بناء المغرب العربى الكبير بطريقة واقعية متئدة ثابتة وانها جاءت معززة للمجهودات المشتركة المباركة التى تبذلها فى ذلك السبيل البلدان الشقيقة الاربعة والتى اكتست ظاهرة مرموقة فى احداث « الهيئة المغربية الاقتصادية القارة » ٠

ثانيا – ان ما توصلت اليه الندوة من مقررات لحقيق بان يعتبر لبنة جديدة فى بناء صرح المغرب العربى الكبير وتحقيق مصيره الافضل داعية الله ان يوفقها الى اداء رسالتها فى هذا الغرض على اكمل وجه ٠